

جامعــة الأزهـــر

كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد





هجرة الأنبياء في ضوء القرآن الكريم

إعداد الباحثة

الدكتورة/ آسيا يحيى عثمان

أستاذ مشارك بقسم الدراسات الإسلامية - كلية الشريعة والقانون - جامعة تبوك

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الثالث والأربعون، لعام ١٤٤٥هـ- يونيو ٢٠٢٤م

والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٦١٥٧/٢٠٢٤ والترقيم الدولي الطباعي I.S.S.N 2974-4660 و

The Online ISSN 2974-4679

هجرة الأنبياء في ضوء القرآن الكريم

آسيا يحيى عثمان
قسم الدراسات الإسلامية - كلية الشريعة والقانون - جامعة تبوك - السعودية
البريد الإلكتروني: om. raed-2552@yahoo. com

ملخص البحث:

تناولت هذه الدراسة الحديث عن: **هجرة الأنبياء في ضوء القرآن الكريم** وعرفت الدراسة الهجرة بأنها الانتقال من مكان إلى مكان أو من دار إلى دار بالنفس اختياريا وبنية مشروعة، أو بأسباب خارجه عنه قهراً، أو قسراً وتعرضت الدراسة لأسباب الهجرة في ضوء القرآن الكريم حيث التقدير الإلهي، والتمحيص الرباني، وتعارض رسالات الأنبياء والرسل – عليهم السلام – مع أهواء المعارضين لها، وقد يكون سبب الهجرة والإخراج من الديار استجابة لأمر الله، ذكرت الدراسة الغاية من هجرة الأنبياء؛ حيث الاطمئنان القلبي والنفسي للتقدير الإلهي، وتنقية الصف المسلم من الدخلاء، والإبقاء على الفئة المؤمنة، وحسن إدارة الصراع مع أهل الباطل، وأخيرا: بناء جيل صالح لا يقبل المساومة وتوصلت الدراسة إلى جملة من النتائج من أهمها نصرة الحق مهما علا الباطل وارتفع؛ لأن السنن الإلهية في المجتمعات لا تتغير ولا تتبدل.

الكلمات المفتاحية: الهجرة – الأنبياء – الانتقال – القهر– التقدير الإلهي – الاستجابة لأمر الله – الصف المسلم من الدخلاء – المساومة – السنن الإلهية.

The migration of the prophets in light of the Holy Qur'.

Asia Yahya Othman
Department of Islamic Studies، Faculty of Sharia and Law، Tabuk University، Saudi Arabia.
Emai: om. raed-2552@yahoo. com

Abstract

This study discussed: The migration of the prophets in light of the Holy Qur'an and defined the study
Migration is the movement from one place to another or from one home to another، by oneself voluntarily and with a legitimate intention، or by reasons outside of it، by force or by force. The study presented the reasons for migration in the light of the Noble Qur'an، where divine discretion، divine scrutiny، and the conflict of the messages of the prophets and messengers - peace be upon them - with the desires of Those who oppose it، and the reason for displacement and expulsion from their homes may be in response to God's command، the study mentioned the purpose of the migration of the prophets; Where the heart and psychological reassurance of divine appreciation، the purification of the Muslim ranks from intruders، the preservation of the believing group، the good management of conflict with the people of falsehood، and finally: building a righteous generation that does not accept compromise. The study reached a number of results، the most important of which is supporting the truth، no matter how high or high the falsehood is; Because the divine laws in societies do not change or change.

Keywords: Displacement - Prophets - Relocation - Oppression - Divine discretion - Response to God's command - The Muslim ranks of intruders - Bargaining - Divine laws.



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، ناصر عباده المؤمنين، وجابر أوليائه المنكسرين، وظهير المضطهدين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي الأمي الأمين أعزه الله بالقرآن، وأذهب به الأحزان، ونشر به الأمان، وعلى آله وصحبه الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ثم أما بعد،،،

فإن القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد وحجته البالغة أنزله الله رحمة للعالمين، وفيه أنزل الله -عز وجل- شريعته وحُكمه التامّ؛ ليتّخذه النّاس شِرْعةً ومنهاجا للحياة وسبيلا للنجاة.

وهو معين لا ينضب، وبحر عطاء لا يجف، لا تشبع منه العلماء، ولا يخلق مع كثرة الترديد قال النبي ﷺ (هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرّد، ولا تنقضى عجائبه)[١].

وإنَّ كتاب الله أوثق شافعٍ وأغنى غناءٍ واهباً متفضِّلاً

وخير جليس لا يمل حديثه وترداده يزداد فيه تجمُّلا [٢]

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه – أبواب الأمثال– باب ما جاء في فضل القرآن – (٥/٢٢)– حديث رقم ٢٩٠٦.

(٢) حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع– القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي (المتوفى: ٥٩٠ هـ) – دار الكتاب النفيس – بيروت – الطبعة الأولى،

ففي تلاوته هدى للقلوب، وشفاء للصدور، أخباره صادقة، وأحكامه عادلة قال تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[1]، يهدي لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[2].

هذا و المتأمل في سيرة وقصص أنبياء الله ورسله الكرام التي وردت في القرآن الكريم من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم رسل الله وهو سيدنا محمد ﷺ يجد أن فيها من المواعظ والعبر مالا يحصى، لاسيما وقد كان لكل أمة من الأمم انحرافات وأباطيل وعللاً مختلفة، فقام الأنبياء – عليهم السلام – بمواجهتها والتصدي لها ومن ثم معالجتها خير قيام، فهم مؤيدون بالوحي الإلهي، وقد تعرضوا خلال ذلك لشتى أنواع الأذى والاضطهاد والتنكيل من تلك الأمم والأقوام المكذبة حتى وصل بهم الأمر إلى إخراجهم من ديارهم وطردهم وتغريبهم، فصبروا واحتسبوا ذلك في سبيل الله قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [3].

وللوقوف على أخبارهم عليهم السلام كان لابد من تتبع واستقراء هذه الدروس والعبر، لنلتمس منها ما ينفعنا في حاضرنا ومستقبلنا، ونحن ولا شك مطالبون بالنظر والتدبر في سيرتهم من خلال القرآن الكريم لنتعرف على أسباب هجرة الأنبياء وما هي الغاية منه وكيف تناول القرآن الكريم هذه القضية ومن هنا جاء اختيار هذا الموضوع، وهو بعنوان: **(هجرة الأنبياء في ضوء القرآن الكريم)**

١٤٠٧ – (١٥/١).

(١) سورة فصلت الآية: (٤٢).

(٢) سورة الإسراء الآية: (٩).

(٣) سورة يوسف الآية: (١١١).

أهمية الموضوع وسبب اختياره

١- العناية بكتاب الله ﷻ؛ وفهم أهم قضاياه والتي تعرض لها كثير من الأنبياء والرسل -عليهم السلام- مع أقوامهم ومنها قضية الهجرة من البلاد والوقوف على أهم أسبابها وعلاجها.

٢- هداية القرآن الكريم للبشرية، وقيامه بإصلاح أحوالها وحل قضاياها عبر القرون والأزمان.

٣- ربط الحقائق القرآنية بواقع الناس، من خلال إبراز الموقف القرآني لقضية الهجرة، وكيف تناولها وبيَّن القرآن أسبابها والغاية منها، وكيف يمكن الاستفادة منها في هذا العصر؛ لأن السنن الإلهية في المجتمعات واحدة لا تتغير ولا تتبدل.

أهداف البحث:

١- بيان مفهوم هجرة الأنبياء والرسل – عليهم السلام – في ضوء القرآن الكريم.
٢- إبراز أسباب هجرة الأنبياء والرسل – عليهم السلام- في ضوء القرآن الكريم.
٣- بيان الغاية من هجرة الأنبياء والرسل – عليهم السلام- في ضوء القرآن الكريم.

تساؤلات البحث:

١- ما مفهوم هجرة الأنبياء والرسل – عليهم السلام-؟
٢- ما هي أسباب هجرة الأنبياء والرسل – عليهم السلام-؟
٣- ما هي الغاية من هجرة الأنبياء والرسل – عليهم السلام-؟

الدراسات السابقة:

من خلال البحث في فهارس المكتبات العلمية والرسمية لم تقف الباحثة على بحث علمي مستقل تطرق من خلاله إلى موضوع هجرة الأنبياء دراسة في ضوء القرآن الكريم وإن كان هناك بعض كتابات متفرقة في جزء منه، ومنها:

الإخراج من الديار في ضوء القرآن الكريم – دراسة موضوعية – إعداد الطالب عماد يعقوب حمتو – رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن – الجامعة الإسلامية – غزة – ٢٠٠٤م /١٤٢٥هـ.

والفرق بين هذه الدراسة ودراستي: ان هذه الدراسة ركزت على قضية الإخراج من الديار في ضوء القرآن الكريم دراسة بين التمحيص والعقوبة والعلاج في ضوء فريضة الجهاد أما دراستي فتتحدث **عن هجرة الأنبياء والرسل – عليهم السلام – دراسة في ضوء القرآن الكريم**

منهج البحث:

تتبعت المنهج الاستقرائي التحليلي(١)، ثم المنهج الاستنباطي(٢)، فقد استخدمت هذا المنهج في ثنايا البحث حيث قمت بجمع الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية ذات الصلة بموضوع الدراسة وفهمها، وكذلك بعض المناهج العلمية الأخرى التي يقتضيها البحث.

وأما منهجي في البحث فهو كالآتي:

١-قمت بعزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآيات كما قمت بعزو الأحاديث والآثار، فما كان في الصحيحين فذلك دليلٌ كافٍ على صحته، وما

---

(١) يقوم هذا المنهج على تحليل ظاهرة من الظواهر للوصول إلى أسباب هذه الظاهرة، والعوامل التي تتحكم فيها، واستخلاص النتائج لتعميمها – أبجديات البحث في العلوم الشرعية– د. فريد الأنصاري– منشورات الفرقان– الطبعة الأولي الدار البيضاء– ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م–(صـ٩٦) بتصرف يسير.

(٢) هو: الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصي جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة. المرشد في كتابة الأبحاث– حلمي محمد فوده وعبد الرحمن صالح عبد الله جدة: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة– الطبعة السادسة– ١٤١٠، ١٤١١هـ– ١٩٩١م. –(صـ٤٢).

لم يكن فيهما قمت بعزوه مع ذكر الحكم عليه، مستعينًا بكلام الأئمة المحققين في ذلك.

٢-قمت بالرجوع إلى المصادرِ الأصيلةِ لجمعِ مادةِ البحث وتوثيقِه، من أجلِ تأصيلِ هذا الموضوع المهم، والرجوع به إلى ينابيعِهِ الصافيةِ من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ثم الرجوع إلى كتب التفسير والحديث والفقه والعقيدة وكذلك كل ما ألف في موضوعه.

٣- التزمت الأمانة العلمية في البحث كله، فنسبت كل قول إلى قائله، ومصدره، وأذكر في الهامش اسم الكتاب، ومؤلفه، والمترجم والمحقق إن وجد، ورقم الجزء ثم رقم الصفحة، ثم دار النشر ورقم الطبعة، وتاريخها إن وجد ذلك وعند عدم وجودها أذكر كلمة "بدون". وإن كان النقل فيه تصرف أشير إلى ذلك، وإن كان هناك اختصارا قلت باختصار وهكذا.

٤- اكتفيت بالتعريف بالأعلام غير المشهورين، وما اشتُهر منهم اكتفيت بشهرته ولم أعرف به.

خطة البحث: **اقتضـــت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وفهرس مراجع ومصادر على النحو الآتي على النحو التالي**:

التمهيد ويشتمل على: التعريف الهجرة في اللغة والاصطلاح.

المبحث الأول: أسباب هجرة الأنبياء في ضوء القرآن الكريم **ويتكون من خمسة مطالب**:

المطلب الأول: التقدير الإلهي. **المطلب الثاني**: التمحيص الرباني.

المطلب الثالث: الاستجابة لأمر الله..

المطلب الرابع: تعارض رسالة الأنبياء مع أهواء المعارضين لها

المطلب الخامس: تضييق أعداء الرسالة على المؤمنين.

المبحث الثاني: **الغاية من هجرة الأنبياء في ضوء القرآن الكريم ويتكون من خمسة مطالب**:

المطلب الأول: الاطمئنان القلبي والنفسي للتقدير الإلهي.

المطلب الثاني: تنقية الصف المسلم من الدخلاء.

المطلب الثالث: الإبقاء على الفئة المؤمنة.

المطلب الرابع: حسن إدارة الصراع مع أهل الباطل.

المطلب الخامس: بناء جيل صالح لا يقبل المساومة.



التمهيد ويشتمل على: التعريف بالهجرة في اللغة والاصطلاح.

{١} تعريف الهجرة في اللغة:

جاء في مقاييس اللغة العربية: أن الهجرة من "(هجر) فالهاء والجيم والراء أصلان يدل أحدهما على قطيعة وقطع، والآخر على شدِ شيءٍ وربطه، فالهجر: ضد الوصل. وكذلك الهجران. وهاجر القوم من دارٍ إلى دار: تركوا الأولى للثانية، كما فعل المهاجرون حين هاجروا من مكة إلى المدينة[١]، والهجرة: "سميت لأن المهاجرين هجروا دورهم وعشائرهم في الله ﷻ"[٢].

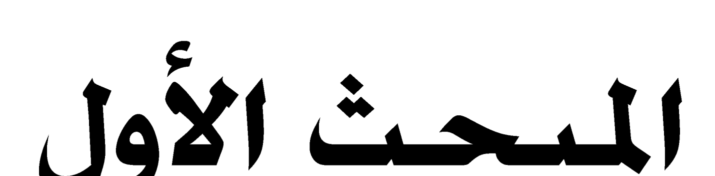
من خلال ما سبق نستنتج: أن الهجرة في الاشتقاق اللغوي يطلق ويراد به ضد الوصل والهجران والانتقال من مكان إلى مكان، كما يعني ترك الوطن إلى بلد غيره للإقامة فيه.

{٢} تعريف الهجرة في الاصطلاح:

لا يختلف المعنى الاصطلاحي عن الاشتقاق اللغوي فالهجرة هو: "الانتقال من مكان إلى مكان أو من دار إلى دار بالنفس اختياريا وبنية مشروعة، أو بأسباب خارجه عنه قهراً، أو قسراً[٣]، أو هو التنحية والاخراج إلى دار بعيدة قسراً، أو قهرا بقصد عقوبة العزل والإهلاك[٤].



(١) مقاييس اللغة - أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)- المحقق: عبد السلام محمد هارون - دار الفكر - عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. - (٦/ ٣٤).
(٢) المحيط في اللغة - إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (المتوفى: ٣٨٥ هـ) - عالم الكتب - بيروت / لبنان - ١٤١٤ هـ-١٩٩٤ م - الطبعة: الأولى - تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين - (١/ ٢٨٣).
(٣) الإخراج من الديار في ضوء القرآن الكريم – دراسة موضوعية – عماد يعقوب حمتو – (صـ ١٢) – الجامعة الإسلامية غزة – رسالة ماجستير – ٢٠٠٤، ١٤٢٥هـ
(٤) المرجع السابق نفسه - (صـ١٥).



المبحث الأول

أسباب هجرة الأنبياء في ضوء القرآن الكريم

ويتكون من خمسة مطالب:

المطلب الأول: التقدير الإلهي.

المطلب الثاني: التمحيص الرباني.

المطلب الثالث: الاستجابة لأمر اللّه.

المطلب الرابع: تعارض رسالة الأنبياء عليهم السلام مع أهواء المعارضين لها.

المطلب الخامس: تضييق أعداء الرسالة على المؤمنين.



المطلب الأول: التقدير الإلهي.

التقدير الإلهي: وهو راجع إلى سنن ﷻ وأحكامه التي تدور في مضمون قوله ﷻ: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[1]، أي "هو الحاكم الذي لا معقب لحكمه، ولا يعترض عليه أحد لعظمته وجلاله وكبريائه وعلمه وحكمته وعدله ولطفه"[2].

ولا يمكن لأحد من مخلوقاته أن يناقشه، أو يسأله عما يفعل هيبةً وإجلالاً، وعباده يُسألون عما يفعلون، نقيرًا وقطميرًا لأنهم مملوكون له تعالى، مستعبدون"[3].

ومن التقدير الإلهي: خروج إبليس فهو أول من خرج من الجنة وكان السبب في إخراجه كبره وبطره وتمرده على ربه ﷻ واستنكافه عن السجود لآدم عليه السلام كما أخبر بذلك القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾[4] قال العلماء: "الذي أحوجه إلى ترك السجود هو الكبر والحسد"[5].

---

(١) سورة الأنبياء الآية: (٢٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم- المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) – تحقيق: محمد حسين شمس الدين – دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت – الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ (٥/٢٥٩).

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد – أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي (المتوفى: ١٢٢٤هـ) – تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان – الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة – الطبعة: ١٤١٩ هـ. – (٣/ ٤٥٢).

(٤) سورة الأعراف الآيات: (١١: ١٣).

(٥) الجامع لأحكام القرآن- أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – تحقيق: أحمد

وبسبب هذا العصيان كان الطرد والابعاد والخروج بتقدير إلهي من الله ﷻ" ﴿ فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا) تعليل للأمر بالهبوط وفيه تنبيه على أن التكبر، لا يليق بأهل الجنة، ﴿ فَٱخْرُجْ ﴾ ﴿ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ أي مما أهانه الله لكبره"(1).

وقال ابن عطية: "أي اهبط من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة، إلى الأرض التي هي مقرّ العاصين المتكبرين من الثقلين ﴿ فَمَا يَكُونُ لَكَ ﴾ فما يصح لك أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيها وتعصى ﴿ فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ من أهل الصغار والهوان على الله وعلى أوليائه لتكبرك، وحكم عليه بضد المعصية التي عصى بها وهي الكبرياء فعوقب بالحمل عليه بخلاف شهوته وأمله، والصغار الذل، قاله السدي" (٢).

فلما تكبر إبليس على طاعة الرحيم سبحانه كان الطرد والابعاد من جنات النعيم عقابا وجزاء له.

ومن التقدير الإلهي: إغواء الشيطان لأبينا آدم ؑ فكان خروجه من الجنة بتقدير إلهي كما أخبر القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾(٣)، ﴿ فَأَزَلَّهُمَا

البردوني وإبراهيم أطفيش – دار الكتب المصرية – القاهرة – الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م – (١٧٠/٧).

(1)المقتطف من عيون التفاسير – مصطفى الخيري المنصوري – تحقيق محمد علي الصابوني – (٢٠٤/٢)– دار السلام – القاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ) – المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ(٣٧٩/٢).

(٣) سورة البقرة الآية: (٣٦).

﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا ﴾: " أي حملهما على الزلة بسبب الشجرة، وقد وسوس لهما بقوله: ﴿ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴾(١) وقوله: ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴾(٢)، وقاسمه لهما: ﴿ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾(٣)، ﴿ فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾(٤) أي من الجنة أو من النعيم الذي كانا فيه، فاتصلت العقوبة بالذنب اتصال المسبّب بسببه المباشر". (٥)

ثم بين الله – تعالى – كيفية الإخراج بقوله: ﴿ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ ﴾، فوقع أبونا آدم في الزلل بسبب ابليس فكان الخروج من الجنة والهبوط بأمر إلهي.

وقال تعالى: ﴿ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ۝٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾(٦).

فنزل أبونا آدم عليه السلام من الجنة، ووصل إلى الأرض، وأنزل الله عز وجل معه منهجا قويما له الحكم والسيادة على بني البشر، وكل من يسكن الأرض من ذريته عليه السلام، فكان قدر الله الحكيم أن يترتب على أكل آدم وحواء من الشجرة، خروجهما من

---

(١) سورة طه الآية: (١٢٠).

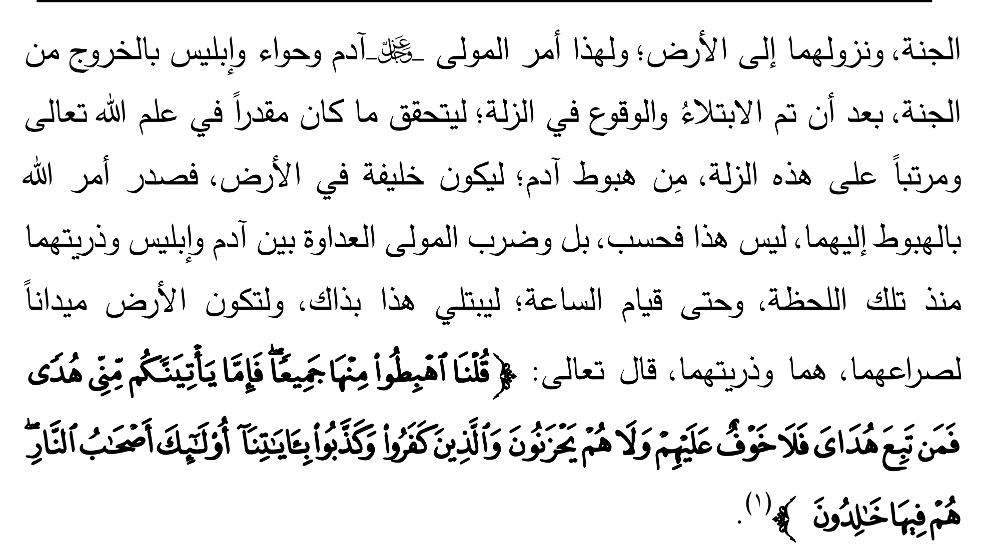
(٢) سورة الأعراف الآية: (٢٠).

(٣) سورة الأعراف الآية: (٢١).

(٤) سورة البقرة الآية: (٣٦).

(٥) تفسير المراغي – أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ) – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر – الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م(٩١/١).

(٦) سورة الأعراف الآيات: (٢٠: ٢٢).



الجنة، ونزولهما إلى الأرض؛ ولهذا أمر المولى -ﷻ- آدم وحواء وإبليس بالخروج من الجنة، بعد أن تم الابتلاءُ والوقوع في الزلة؛ ليتحقق ما كان مقدراً في علم الله تعالى ومرتباً على هذه الزلة، مِن هبوط آدم؛ ليكون خليفة في الأرض، فصدر أمر الله بالهبوط إليهما، ليس هذا فحسب، بل وضرب المولى العداوة بين آدم وإبليس وذريتهما منذ تلك اللحظة، وحتى قيام الساعة؛ ليبتلي هذا بذاك، ولتكون الأرض ميداناً لصراعهما، هما وذريتهما، قال تعالى: ﴿**قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[1].

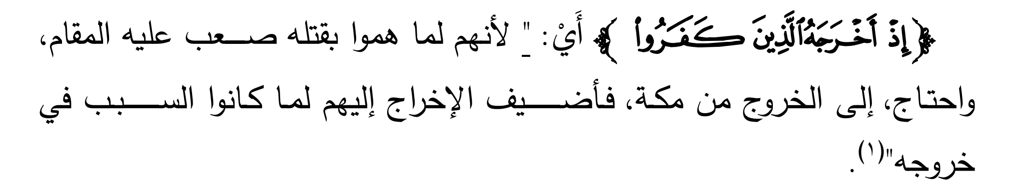
ومن التقدير الإلهي: تهيئة النبي ﷺ للهجرة كما قال تعالى: ﴿**إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[2]، أي: " (إلا تنصروه فقد نصره الله) إلا تنفروا، أيها المؤمنون، مع رسولي إذا استنفركم فتنصروه، فالله ناصره ومعينه على عدوّه ومغنيه عنكم وعن معونتكم ونصرتكم"[3].

---

(١) البقرة الآيتان: (٣٨، ٣٩).

(٢) التوبة الآية: (٤٠).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن – المؤلف: أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠هـ)– توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة – ص. ب: ٧٧٨٠ – الطبعة: بدون تاريخ نشر– (١٤– ٢٥٧)



﴿إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أَيْ: " لأنهم لما هموا بقتله صعب عليه المقام، واحتاج، إلى الخروج من مكة، فأضيف الإخراج إليهم لما كانوا السبب في خروجه"(١).

وقد تكرر في التنزيل ذكر إخراج المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين المهاجرين من ديارهم بغير حق، وليس المراد منه أنهم تولوا طردهم وإخراجهم مجتمعين ولا متفرقين، فإن أكثرهم خرج مستخفيا كما خرج النبي - ﷺ- مع صاحبه - رضي الله عنه- أو تقدير الكلام: إلا تنصروه فقد أوجب الله له النصر في كل حال وكل وقت، حتى نصره في ذلك الوقت الذي لم يكن معه جيش ولا أنصار منكم"(٢).

ومن اللطائف أن القرآن ذكر قصّة الهجرة المحمدية من مكة إلى يثرب "بأسلوب ليس من نسق التاريخ فسمّاها إخراجًا من الذين كفروا ولم يسمّها هجرة بصريح اللفظ... وبعض الحكمة في ذلك أن التذكير بالإخراج من الديار يُذكي الحماس، ويُبقي الحنين إلى الديار متواصلًا، ويُنمّي غريزة الانتقام والأخذ بالثأر، وأن إيجاب الهجرة بتلك الأساليب المغرية البديعة، هو جمع لأنصار الحق في مأرز واحد، بعد تشتّتهم لينسجموا ويستعدّوا إلى الرجعة والكرّة"(٣).

---

(١) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط – المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ) المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه – الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية –الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – (٤٣٦/١٠).

(٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) – محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) – الهيئة المصرية العامة للكتاب – سنة النشر: ١٩٩٠ م. (١٠/ ٣٦٨، ٣٦٩).

(٣) ينظر: آثَارُ الإمَام مُحَمَّد البَشِير الإبْرَاهِيمِي– محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي (ت

ومن خلال ما سبق يمكن القول: **إن** التقدير الإلهي راجع إلى سنن الله التي تؤكد عظمته وعز سلطانه ﷻ وحكمته سبحانه وهي من أسباب هجرة الأنبياء والرسل – عليهم السلام.

المطلب الثاني: التمحيص الرباني.

لقد جرت سنن الله ﷻ في الأمم السابقة وهذه الأمة "أن يبتليهم بالسراء والضراء، والعسر واليسر، والمنشط والمكره، والغنى والفقر، وإدالة الأعداء عليهم في بعض الأحيان، ومجاهدة الأعداء بالقول والعمل ونحو ذلك من الفتن"(١).

ويكون لكل هذه الأمور هدفٌ سامٍ وهو التمحيص الرباني ومن ثم التمكين والنصر، لذلك قد يكون الإخراج والهجرة من الديار تمحيصا من الله ﷻ و امتحانا يمتحن الله به عباده المؤمنين قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾(٢).

يقول الامام الخازن في معنى هذه الآية: وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ أي فرضنا وأوجبنا عليهم الضمير في(عليهم) يعود على المنافقين، وقيل: يعود الضمير على الكافة فيدخل فيه المنافق وغيره﴿أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم﴾

١٣٨٥هـ) – جمع وتقديم: نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي – دار الغرب الإسلامي. – الطبعة: الأولى، ١٩٩٧ بتصرف (٤٧٢/٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) – تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق – مؤسسة الرسالة – الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م. – (صد: ٦٢٦).

(٢) سورة النساء الآية: (٦٦).

يعني كما كتبنا على بني إســـرائيل القتل والخروج من مصــــر ما فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ معناه لم يفعله إلا القليل(١).

والمعنى" أن الله تعالى لو فرض على الناس أن يقتلوا أنفســــهم، كما أمر بني إســـرائيل بذلك ليتوبوا من عبادة العجل، فكان قتل النفس هو طريق التوبة، أو لو فرضنا عليهم أن يخرجوا من أوطانهم، ويهاجروا في سبيل الله إلى بلاد أخرى، ما فعل المأمور به من قتل النفس وهجر الوطن إلا نفر قليل منهم... حيث تتطلب إطاعة الأوامر الإلهية إيمانا راســـخا كالجبال الراســيات، والطاعة: حمل النفس على فعل ما تكره، لا على ما تحب، ولا يفعل ذلك إلا فئة قليلة من الناس، ولو فعلوا المأمور به وتركوا ما ينهون عنه لكان لهم خيرا في الدنيا والآخرة، ودليلا على الثبات على الحق، وسببا لاستحقاق الثواب العظيم في الآخرة "(٢).

وفي هذه الآية إشــارة إلى التمحيص والامتحان الكبير الذي يمتحن الله ﷻ به عباده شـــرط قبول توبتهم، ويذكرهم بأن هذا الامتحان بقتل النفس والهجرة من الأوطان والخروج أمر عسير على النفس البشرية، فلا يقوى له إلا رجالُ الإيمان في صـــدورهم أثبت من الجبال الرواســـي، وقد كتب الله هذا الامتحان على بني إسرائيل، وما استجاب منه إلا القليل.

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل – علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ)– تصحيح: محمد علي شاهين– دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ (٣٩٦/١).

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج – د وهبة بن مصطفى الزحيلي – دار الفكر المعاصر – دمشق–الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ– (٥/ ١٤١) – بتصرف.



وقد جاء السياق القرآني؛ ليقترن فيه قتل النفس بحب الأوطان، وصعوبة الهجرة منها لما في هذا الامتحان من مشقة على النفس البشرية كما حصل لبني إسرائيل بأمر الخروج من مصر[1].

ومن النتائج المترتبة على سنة الابتلاء لاحقاً: سنة التمحيص" فالمؤمن من جهة يتعرض للمحنة فيصقل معدنه من أثرها، وينضج بها كما ينضج الطعام بالنار، والمنافق من جهة ثانية لا يستطيع الصمود أمام الفتنة فتخور قواه، وتنحل عراه، وينكص على عقبه، ولهذا جعل الله التمحيص معبرا لتنقية الصف المؤمن من أدعياء الإيمان؛ فيقع به التمييز بين الدر الثمين، والخرز الخسيس[2] كما في قول الله ﷻ: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾[4].

فسنة الله في أي دعوة صادقة خالصة أن يتعرض أصحابها للمِحَن والابتلاءات لكي تُنقى من خبثها ولا يبقى فيها إلا الطيب ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾[5]، وقد سُئل الشافعي قديماً: يا أبا عبد الله: (أيما أفضل للرجل أن يُمَكن أو يُبتلى؟ فقال: الشافعي لا يُمَكن حتى يُبتلى، فإن الله ابتلى نوحاً وإبراهيم وموسى

---

(١) ينظر: المرجع السابق– (٥/ ١٤٤). بتصرف
(٢) سنة الابتلاء في القرآن – رجب نصر موسى الأنس رسالة ماجستير – جامعة النجاح الوطنية – نوقشت هذه الرسالة ٢٠٠٧/١٠/٢٢م. – (صـ٣٢)– مجلة البيان (٢٣٨ عددا) – تصدر عن المنتدى الإسلامي (٥٠/١١٥).
(٣) سورة آل عمران جزء الآية: (١٧٩).
(٤) سورة آل عمران جزء الآية: (١٥٤).
(٥) سورة النفال الآية: (٣٧).

وعيسى ومحمداً صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فلما صبروا مكنهم)، فلابد للميلاد من مخاض، ولابد للمخاض من آلام"(١).

وابتلاء المؤمنين قبل التمكين أمر حتمي؛ من أجل التمحيص؛ ليقوم بنيانهم بعد ذلك على تمكن ورسوخ، "وهذا الابتلاء للمؤمنين ابتلاء الرحمة لا ابتلاء الغضب، وابتلاء الاختيار لا مجرد الاختبار، فلو أن قائدا أراد إعداد جنوده للفوز في معركة ضاربة، أيكون من الرحمة أن يخفف عنهم التدريب، ويهون عليهم الاعداد، أم يكون الرحمة الحقيقية أن يشدد عليهم في التدريب على قدر ما تقتضيه المعركة الضاربة التي يعدهم من أجلها؟ "(٢).

ومن التمحيص الرباني تعرض الأنبياء للعنت والايذاء من أقوامهم فالمتتبع لقصصهم- عليهم السلام - يجد أن الأنبياء وأتباعهم تعرضوا للعديد من الاختبارات بهدف التمحيص فلاقوا في سبيل الدعوة شتى أنواع العذاب والاضطهاد وربما وصل الأمر إلى القتل، فكانت حياتهم كلها جهاد شاقٌ وصراعٌ مميتٌ مع الباطل وأهله، فلم تكن حياتهم مفروشة بالورود بل كانت محفوفة بالأشواك، والكيد من قبل أعداء الدعوة، فمنهم من طرد وأبعد من بلده قال الله تعالى حكاية عن قوم شعيبعليه السلام ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ

---

(١) طوق النجاة - المؤلف: مجدي الهلالي - دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر - الطبعة: الثامنة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م ص(٣٦)، الفوائد - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت -الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م-(صـ: ٢٠٨).

(٢) التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم - محمد السيد محمد يوسف- دار السلام للطباعة والنشر - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م- (صـ ٢٣٥).

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ﴾[3]، وقال تعالى: حكاية عن قوم نوح الطَّيْلاً ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ﴾[4]، ومنهم من تعرض للضرب حتى سال منه الدم كما جاء في الصحيحين من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ قال: كأني أنظر إلى النبي ﷺ، يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)[5].

ولقد وصل بهم الأذى إلى القتل كما حدث لزكريا وابنه يحيى – عليهما السلام – قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾[6].

وقد بيَّن ابن القيم – رحمه الله– حقيقة التمحيص فقال: "الناس إذا أُرسل إليهم الرسل بين أمرين: إما أن يقول أحدهم آمنا وإما أن لا يقول آمنا بل يستمر على عمل السيئات؛ فمن قال آمنا أمتحنه الرب ﷻ، وابتلاه وألبسه الابتلاء والاختبار؛ ليبين الصادق من الكاذب، ومن لم يقل آمنا فلا يحسب أنه يسبق الرب؛ لتجربته

---

(١) الأعراف الآية: (٨٨)
(٢) الحج جزء الآية: (٤٠)
(٣) الأنعام جزء الآية: (٣٤)
(٤) سورة هود جزء: الآية(٣٨)
(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه – كتاب أحاديث الأنبياء – باب حديث الغار – (١٧٥/٤) – حديث رقم (٣٤٧٧).
(٦) سورة المائدة الآية: (٧٠).

فإن أحداً لن يعجز الله تعالى هذه سنته تعالى يرسل الرسل إلى الخلق فيكذبهم الناس ويؤذونهم؛ قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾[2]، ومن آمن بالرسل وأطاعهم عادوه وآذوه، فابتلي بما يؤلمه؛ وإن لم يؤمن بهم عوقب، فحصول ما يؤلمه أعظم وأدوم، فلا بد من حصول الألم لكل نفس سواء آمنت أم كفرت؛ لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداءً ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، والكافر تحصل له النعمة ابتداءً ثم يصير في الألم"[3].

فكل نبي من الأنبياء عليهم السلام تعرض لهذا التمحيص الرباني" فهذا أبونا آدم عليه السلام طاب عيشه في الجنة ثم أخرج منها، ونوح سأل في ابنه فلم يُعط مراده، والخليل ابتلي بالنار، وإسحاق بالذبح، ويعقوب بفقد الولد، ويوسف بمجاهدة الهوى، وأيوب بالبلاء، وداود وسليمان بالفتنة، وجميع الأنبياء عليهم السلام على هذا، وأما ما لقيه نبينا محمد ﷺ من الجوع والأذى وكدر العيش، فمعلوم[4]، فامتحان الله سبحانه لهم بضروب المحن "زيادة في مكانتهم، ورفعة في درجاتهم، وأسباب لاستخراج حالات الصبر والرضا، والشكر والتسليم، والتوكل، والتفويض،

---

(١) سورة الأنعام جزء الآية(١١٢).

(٢) سورة الذاريات الآية: (٥٢).

(٣) الفوائد- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م – (صـ: ٢٠٨).

(٤) صيد الخاطر- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) -(صـ: ٣٩٩) –عناية: حسن المساحي سويدان – دار القلم – دمشق – الطبعة: الأولى- ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

والدعاء، والتضــرع منهم، وتأكيد لبصــائرهم في رحمة الممتحنين، والشـفقة على المبتلين، وتذكرة لغيرهم، وموعظة لســواهم ليتأسَّــوا في البلاء بهم، فيتســلوا في المحن بما جرى عليهم، ويقتدوا بهم في الصـــبر، ومحوٌ لَهنَّاتٍ فرطت منهم، أو غفلات ســلفت لهم، ليلقوا الله طيبين مُهذّبين، وليكون أجرهم أكمل، وثوابهم أوفر وأَجْزل"(١).

من خلال ما سبق يظهر لنا: إن التمحيص والابتلاء سنة الله في عباده وهي سنة جارية وماضية، وليس بمعصوم منها أحد من البشر، سواء في الأمم السابقة أو اللاحقة، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى – عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ) – (٤٥٤/٢) – دار الفيحاء – عمان – الطبعة: الثانية – ١٤٠٧ هـ، الابتلاء وكيف تستفيد منه الدعوات– المؤلف: مجدي الهلالي – مؤسسة اقرأ، للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة– الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م ص(٧).

المطلب الثالث: **الاستجابة لأمر الله**.

إن قضـــية الهجرة من الديار قد تكون اســـتجابة لأوامر الله ﷻ في كثير من صورها كخروج بني إسرائيل وإرسال موسى عليه السلام إلى فرعون؛ ليُخلص بني إسرائيل من قهره وظلمه وعتوه، ومن الاســتجابة لأمر الله ﷻ خروج موســى عليه الســلام لملاقاة الخضر عليه السلام، وأيضا هجرة المؤمنين من مكة إلى أرض الحبشة، وذلك على النحو التالي:

١ـــ خروج بني إسرائيل وإرسال نبي الله موسى عليه السلام ليخلص بني إسرائيل من الطغيان:

ذكر القرآن الكريم أن ترك الإخراج فريضة فرضها الله ﷻ على بني إسرائيل في كتبهم وشرائعهم، والمواثيق التي أخذت عليهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[(١)].

والعهد كان بثلاثة أشـــياء ترك القتل، وترك الإخراج ومفاداة الأســـارى فقتلوا وأخرجوا على خلاف العهد وفدوا بمقتضـــاه.. عن السُـــدي أن الله تعالى أخذ على بني إسرائيل في التوراة أن لا يقتل بعضـهم بعضـا، ولا يخرج بعضـهم بعضـا من ديارهم، وأيما عبد أو أمة وجدتموه من بني إســـرائيل؛ فاشـــتروه بما قام من ثمنه فأعتقوه، ولعل كفرهم بما ارتكبوا لاعتقادهم عدم الحرمة مع دلالة صـــريح التوراة

(١) سورة البقرة الآيتان: (٨٤، ٨٥).



عليها، وقد روى عن ابن عباس – رضـــي الله تعالى عنهما– أنه قال: كان عادة بني قريظة القتل، وعادة بني النضـير الإخراج فلما غلب رسـول الله ﷺ أجلى بني النضير، وقتل رجال قريظة، وأسر نساءهم وأطفالهم(١).

وكان خروج موســى وهارون – عليهما السـلام – إلى فرعون اسـتجابة لأمر إلهي؛ ليخلصا بني إسرائيل من ظلمه وعتوه واستكباره، ولينهوا مدة البطش والتنكيل بالمؤمنين على يده وليمضــوا إلى قدر الله؛ ليحققوا مرحلة جديدة في تاريخهم من إمامة الأرض، قال تعالى: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾(٢)، فانطلق موسى بقومه من أرض مصر ذاهبا إلى أرض فلسطين كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾(٣)، وفي هذه الآية دلالة على أن موســى عليه السلام "في تلك الحالة كثر مســتجيبوه، فأراد الله تعالى تمييزهم من طائفة فرعون، وخلاصـــهم فأوحى إليه أن يسري بهم ليلا، والسُرى: اسم لسير الليل والإسراء مثله، فإن قيل: ما الحكمة في أن يسري بهم ليلا.

قلنا لوجوه:

أحدها: أن يكون اجتماعهم لا بمشـــهد من العدو فلا يمنعهم عن اســـتكمال مرادهم في ذلك.

وثانيها: ليكون عائقا عن طلب فرعون ومتبعيه.

---

(١) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ. (١/ ٣١٣، ٣١٤) – باختصار.

(٢) الشعراء الآيتان: (١٦، ١٧).

(٣) طه الآية: (٧٧).

وثالثها: ليكون إذا تقارب العسكران لا يرى عسكر موسى عسكر فرعون فلا يهابوهم"(١).

٢. خروج نبي الله موسى عليه السلام لملاقاة الخضر استجابة لأمر الله:

كذلك كان خروج نبي الله موسى عليه السلام لملاقاة الخضر والتعلم منه استجابة لأمر الله، كما جاء في صحيح الإمام البخاري رضي الله عنه من حديث سعيد بن جبير رضي الله عنه، قال: قلت لابن عباس – رضي الله عنهما–: إن نوفا البكالي(٢) يزعم: أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بني إسرائيل، إنما هو موسى آخر، فقال: كذب عدو الله، حدثنا أبي بن كعب، عن النبي ﷺ: " أن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل، فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إليه، فقال له: بلى، لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك قال: أي رب ومن لي به؟ قال: تأخذ حوتا، فتجعله في مكتل، حيثما فقدت الحوت فهو ثم وربما قال: فهو ثمه –، وأخذ حوتا فجعله في مكتل، ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نون، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رءوسهما، فرقد موسى، واضطرب الحوت فخرج، فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا، فأمسك الله عن الحوت جرية الماء، فصار مثل الطاق(٣)، فقال: هكذا

---

(١) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير – أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) – (٢٢/ ٨٠) – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

(٢) هو نوف بن فضالة البكالي –بكسر الموحدة وتخفيف الكاف، ابن امرأة كعب الاحبار، لم يوثقه غير ابن حبان، وقال: كان راوية للقصص، أحد العلماء، وهو شامي مستور، له ذكر في الصحيحين في حديث سَعِيْدِ بنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ أُبَيِّ كعب، حديث موسى والخضر. سير أعلام النبلاء – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) – دار الحديث– القاهرة – الطبعة: ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م (٤/ ٣٩٩).

(٣) الطاق أي الكوة قوله الطول بالفتح أي الفضل قوله طوقه أي جعل في طوقه وكذا سيطوقون

مثل الطاق، فانطلقا يمشيان بقية ليلتهما ويومهما، حتى إذا كان من الغد قال لفتاه: آتنا غداءنا، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا، ولم يجد موسى النصب حتى جاوز حيث أمره الله، قال له فتاه: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾[1] فكان للحوت سربا ولهما عجبا، قال له موسى: ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾[2]. رجعا يقصان آثارهما، حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسجى بثوب، فسلم موسى فرد عليه، فقال وأنى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل قال: نعم، أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا، قال: يا موسى: إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، قال: هل أتبعك؟ قال: ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾[3] إلى قوله - ﴿ إِمْرًا ﴾[4] فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت بهما سفينة كلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول، فلما ركبا في السفينة جاء عصفور، فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة أو نقرتين، قال له الخضر يا موسى

قوله طوي هو اسم الوادي قوله طوبى قال في الأصل طوبى فعلى من كل شيء طيب وهي ياء حولت إلى الواو قوله طوى بتشديد الياء من أطواء بدر قال الطوي البئر المطوية- فتح الباري شرح صحيح البخاري . أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي . رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي . قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب – دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩. (١/ ١٥١).

(١) سورة الكهف الآية: (٦٣).

(٢) سورة الكهف الآية: (٦٤).

(٣) سورة الكهف الآيتان: (٦٧ – ٦٨).

(٤) سورة الكهف الآية: (٧١).

ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر، إذ أخذ الفأس فنزع لوحا، قال: فلم يفجأ موسى إلا وقد قلع لوحا بالقَدوم، فقال له موسى: ما صنعت؟ قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها، لقد جئت شيئا إمرا، قال: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾[1]، فكانت الأولى من موسى نسيانا، فلما خرجا من البحر مروا بغلام يلعب مع الصبيان، فأخذ الخضر برأسه فقلعه بيده هكذا، – وأومأ سفيان بأطراف أصابعه كأنه يقطف شيئا –، فقال له موسى: أقتلت نفسا زكية بغير نفس، لقد جئت شيئا نكرا، قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا، فانطلقا، حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها، فأبوا أن يضيفوهما، فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض، مائلا، أومأ بيده هكذا، – وأشار سفيان كأنه يمسح شيئا إلى فوق، فلم أسمع سفيان يذكر مائلا إلا مرة – قال: قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا، عمدت إلى حائطهم، لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال: هذا فراق بيني وبينك، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا، قال النبي ﷺ: وددنا أن موسى كان صبر فقص الله علينا من خبرهما، – قال سفيان–، قال النبي ﷺ«يرحم الله موسى لو كان صبر لقص علينا من أمرهما» وقرأ ابن عباس: «أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا» وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين " ثم قال لي سفيان: سمعته منه مرتين، وحفظته منه، قيل لسفيان: حفظته قبل أن تسمعه من

---

(١) سورة الكهف الآيتان: (٧٢ – ٧٣)

عمرو، أو تحفظته من إنســـان؟، فقال: ممن أتحفظه، ورواه أحد، عن عمرو غيري سمعته منه مرتين، أو ثلاثا وحفظته منه [1]، [2].

٣. الخروج إلى أرض الحبشة استجابة لأمر الله:

وقد كان خروج المؤمنين في عهد النبي ﷺ إلى أرض الحبشــة اســتجابة لأمر الله كما جاء في صحيح البخاري من حديث أم المؤمنين عائشـة – رضـي الله عنها – قالت قال النبي (:ﷺأُريت دار هجرتكم، ذات نخل بين لابتين» وهما الحرتان، فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشـــــة إلى المدينة.. الخ الحديث) [3]، وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح "عن ابن إسحاق أن السبب في ذلك أن النبي ﷺ قال لأصحابه لما رأى المشركين يؤذونهم، ولا يستطيع أن يكفهم عنهم إن بالحبشة ملكا لا يظلم عنده أحد فلو خرجتم إليه حتى يجعل الله لكم فرجا، فكان أول من خرج منهم عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسـول الله ﷺ وأخرج يعقوب بن سفيان بسند موصول إلى أنس قال أبطأ على رسول الله ﷺ خبرهما فقدمت امرأة، فقالت له لقد رأيتهما، وقد حمل عثمان امرأته على حمار فقال صحبهما الله إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط"[4].

وجاء عن ابن عباس– رضـــي الله عنهما– قال: (بعث رســول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين،

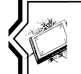
---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه – كتاب أحاديث الأنبياء – باب وفاة موسى وذكره – عليهما السلام – (١٥٧/٤) حديث رقم (٣٤٠٧).

(٢) وقد وردت القصة كاملة في سورة الكهف الآيات من (٧٨: ٦٠).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه – كتاب الكفالة – باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة– (٣/ ١٤١٧). حديث رقم (٣٦٩٢).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٨٨) مرجع سابق.



ومات وهو ابن ثلاث وستين)[1]، قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[2].

كما أن الإخراج من الديار كان عقوبة أقرّها الشرع وعمل بها أهل الإسلام انفاذا لأمر الله واستجابة له؛ للضرب على يد المفسدين في الأرض، والذين يحاربون دين الله ورسوله ويؤذون أهله، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ۖ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3].

قوله تعالى: ﴿أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ﴾اختلف في معناه، فقال السدي: هو أن يطلب أبدا بالخيل والرجل حتى يؤخذ فيقام عليه حد الله، أو يخرج من دار الإسلام هربا ممن يطلبه، وحكي عن الشافعي أنهم يخرجون من بلد إلى بلد، ويطلبون لتقام عليهم الحدود، وقاله الليث بن سعد والزهري أيضا. وقال مالك أيضا: ينفى من البلد الذي أحدث فيه هذا إلى غيره ويحبس فيه كالزاني، وقال مالك أيضا، **والكوفيون**: نفيهم سجنهم فينفى من سعة الدنيا إلى ضيقها، فصار كأنه إذا سجن فقد نفي من الأرض إلا من موضع استقراره، حكى مكحول[4] أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه "أول

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه – كتاب مناقب الأنصار – باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة – (٥/ ٥٧) – حديث: (٣٩٠٢).

(٢) سورة الأنفال الآية: (٧٤).

(٣) سورة المائدة الآيتان: (٣٣ – ٣٤).

(٤) محمد بن عبد الله بن عبد السلام، أبو عبد الرحمن، المعروف بمكحول: حافظ للحديث، ثقة، ثبت من أهل بيروت. سمع بمصر والشام والجزيرة، وروى عنه كثيرون – الأعلام للزركلي (٦/ ٢٢٣) – مرجع سابق.

من حبس في السجون وقال: أحبسه حتى أعلم منه التوبة، ولا أنفيه من بلد إلى بلد فيؤذيهم، والظاهر أن الأرض في الآية هي أرض النازلة وقد تجنب الناس قديما الأرض التي أصابوا فيها الذنوب"(١).

وما يلحق بهؤلاء المفسدين من إخراجهم من الديار؛ لفسادهم وإفسادهم ما ذكره القرآن الكريم بحق آخرين وهم الزناة قال تعالى: ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢).

من خلال ما سبق نخلص القول: بأن الاستجابة لأمر الله قد تكون أحد أسباب إخراج الأنبياء عليهم السلام من ديارهم وأوطانهم.

---

(١) تفسير القرطبي – (٦/ ١٥٢، ١٥٣) – مرجع سابق.

(٢) سورة النور الآيتان: (١، ٢).



المطلب الرابع: تعارض رسالة الأنبياء مع أهواء المعارضين لها.

إن تعارض الحق الذي جاء به الأنبياء والرسل – عليهم السلام – مع أهواء المعارضين له هو الذي يدفع بهم إلى العناد والخصومة والتكذيب بهم وبرسالاتهم – عليهم السلام –؛ لأن أعداء الحق بطبعهم يكرهون الحق وهو المنهج الرباني القويم التي أتى به النبيون ويميلون لما هم عليه من باطل وظلم وجور؛ فيحدث حينئذ تصادم بينهما ونفور من الدين ومن رسالة الأنبياء التي جاءت به، ومن ثم يحصل التوعد والتهديد والهجرة لهم من الديار، وقد تعرض العديد من الأنبياء – عليهم السلام– للهجرة من الديار بسبب ظلم أعدائهم واتباعهم لأهوائهم.

فهذا نبي الله لوط عليه السلام لما خالف رأي قومه ورغبتهم المنتكسة في ارتكاب الفاحشة (واتيان الرجال شهوة من دون النساء) نهاهم وحذرهم من عاقبة فعلهم المخالف للفطرة السوية، وأمرهم بتقوى الله، والرجوع إلى الحق وتلبية نداء الفطرة والطهارة والعفة، فلما تعارضت الدعوة التي جاء بها النبي الكريم مع أهوائهم قابلوه بالطرد والهجرة والخروج من الديار قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾[1]، ﴿إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾ قال: "عابوهم بغير عيب أي: إنهم يتطهرون من أعمال السوء"[2].

وهذا رسولنا محمد ﷺ أيضا لما تعارضت دعوته مع أهواء المشركين من أهل مكة قابلوه بالتكذيب والتعذيب حتى أذاقوه مرارة الإخراج من الديار ﷺ.

---

(١) سورة النمل الآية: (٥٦).

(٢) المهذب النقي الجامع لتفسير ابن جرير الطبريّ – (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠ هـ)– إعداد وتهذيب وتعليق: عبد الرحمن القماش – (من علماء الأزهر الشريف). – (١٩/ ٤٨٢).

ومن مظاهر تعارض الحق الذي جاء به الرسل – عليهم السلام – مع أهواء المعارضين له ومعارضتهم له التي عبر عنها القرآن الكريم بعدة ألفاظ منها: كره رضوان الله – كراهية احقاق الحق– كره ما أنزل الله.

١- عدم اتباعهم المنهج الرباني الذي أتى به رسول الله ﷺ بسبب **كرههم لرضوان الله وما أنزل الله** قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾[1]، حيث أن القوم " اتبعوا ما أَسْخَطَ اللَّهَ من الكفر والمعاصي ومعاونة الكفرة، وكرهوا ما يرضاه من الإيمان، والطاعة، ونصرة المؤمنين، فكفروا بعد الإيمان، وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود؛ فأحبط لأجل ذلك أعمالهم التي عملوها حال إيمانهم من الطاعات، أو بعد ذلك من أعمال البر التي لو عملوها حال الإيمان لا ينتفعوا بها فالكفر والمعاصي؛ سبب لإحباط الأعمال، وباعث على العذاب والنكال"[2].

يقول الإمام المراغي في عاقبة من يكره رضوان الله من المنافقين: "انهمكوا في المعاصي، وزُينت لهم الشهوات، وكرِهوا ما يُرضى الله من الإيمان به والعمل على طاعته والإخلاص له في السر والعلن، فأحبط ما عملوه من البر والخير، كالصدقات، والأخذ بيد الضعيف، ومساعدة البائس الفقير، وإغاثة الملهوف إلى

(١) سورة محمد الآية: (٢٨).

(٢) روح البيان – إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) –(٨/ ٥١٩) – دار الفكر – بيروت – بدون.

نحو أولئك، إذ هم فعلوه وهم مشركون فلم تكن لله ولا بأمره، بل بأمر الشيطان للفخر وحسن الأحدوثة بين الناس"[١].

٢- **كراهية المجرمين لإحقاق الحق وإبطال الباطل** قال تعالى: ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[٢]"فإن المشركين بكثرة عددهم يؤيدون الباطل وما ذلك إلا بسبب اتباعهم لأهوائهم التي تتعارض مع الدعوة، ولكن أمر الله نافذ لا محالة حيث "إنهم كرهوا ما أنزل الله من القرآن والتوحيد والدعوة إلى مكارم الأخلاق، فكان جزاؤهم أن أحبط الله أعمالهم، ووجه كراهتهم للدين الجديد أنه جاء بتكاليف، وهم قوم ألفوا الإهمال وإطلاق العنان للنفس والهوى، فلما جاء القرآن بالتكليف وترك الملذات كرهوه"[٣].

٣- **كرههم لإتمام نور الله** قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[٤]، أي يريد أعداء الدعوة من اليهود والنصارى أن يطفئوا نور الله بأفواههم فهم يريدون أن يردوا القرآن تكذيبا بألسنتهم، ويغيروا دين الإسلام، ويريدون أن يبطلوا كلمة التوحيد بكلمة الشرك،

---

(١) تفسير المراغي – أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) -(٢٦/ ٧٠، ٧١) – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر – الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.

(٢) سورة الأنفال الآية: (٨).

(٣) التفسير الواضح – الحجازي، محمد محمود -(٣/ ٤٦٢) – دار الجيل الجديد – بيروت – الطبعة: العاشرة – ١٤١٣ هـ.

(٤) سورة التوبة الآية: (٣٢).

ولكن الله لا يرضى إلا أن يتم نوره بأن يعلي دينه، ويظهر كلمته، ويتم الحق الذي بعث به محمد ﷺ ولو كره الكافرون[1].

وبسبب كل هذه المظاهر من البغض والعداوة والتكذيب بين جميع الأنبياء وأقوامهم تجرع الرسول الله ﷺ مثلهم مرارة الإخراج والهجرة من الديار إذ وعظهم وأرشدهم إلى ما فيه نجاتهم وفلاحهم؛ لكن القوم أَبَو إلا العناد والفجور حتى دفعوه ﷺ إلى ترك بلده مكة المكرمة التي أحبَها حيث فيها ولد ونشأ، وفيها تربى وكُبر عليه السلام، وقد جاءت الإشارة إلى هذا الخروج في قول الله ﷻ: ﴿ **إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[2]، **من خلال ما سبق يمكن القول**: بأن تعارض الحق مع أهواء المعارضين له باختلاف وجوه هذه المعارضة وأشكالها يعدُ من أقوى الأسباب التي واجهت الرسل – عليهم السلام – في أزمة الهجرة والخروج من الديار.

---

(١) ينظر: بحر العلوم – أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي – تحقيق: د. محمود مطرجي – دار الفكر – بيروت بدون. – (٢/٥٤).

(٢) سورة التوبة الآية: (٤٠).

المطلب الخامس: تضييق أعداء الرسالة على المؤمنين.

لما تحدث القرآن الكريم عن دعوة الأنبياء والرسل – عليهم السلام – وصف لنا مقدار ما تعرضوا له من أقوامهم من صنوف العذاب والتنكيل؛ للتضييق عليهم والوقوف في وجه دعوتهم وإثارة القلاقل والعثرات لمنعها من الظهور والانتشار، وأخذوا يلجؤون إلى سياسات خبيثة وأنواع عديدة من صور المكر والكيد والعداء للأنبياء ورسالاتهم والتي من صورها: –

١. التهديد والتوعد والاستفزاز:

وهو أسلوب خبيث استخدمه أعداء الدعوة ضد الأنبياء والمرسلين– عليهم السلام – وأتباعهم وأشار إليه القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾[١].

فلم يكتفِ القوم المكذبون بالإعراض عن الرسل ودعوتهم؛ بل توعدوا الرسل وأتباعهم بالإخراج والطرد والإبعاد من الأرض، بل تجاوزا ذلك حين نسبوا هذه الأرض لأنفسهم، وهذا من أعظم الظلم؛ فإن الله ﷻ خلق عباده وبسط لهم الأرض، وأمرهم بالعيش فيها والسير في مناكبها، طلبا للرزق والعيش الرغيد، كما أمرهم بعمارتها واستخلفهم ﷻ فيها، وجعلها مطيةً للوصول إلى رضوانه، فمن استعان بها على طاعة الله نجا في الدنيا والآخرة، ومن استعان بها على معصية الله كانت نقمة عليه في الآخرة، وهذا ما قام به أعداء الأنبياء والرسل– عليهم السلام– حيث كانوا يعتبرون أن الأرض أرضهم؛ فتصدوا بكل قوة وعتو لدعوات الأنبياء والرسل – عليهم السلام –؛ لكن الله غالب على أمره والعاقبة لعباده المؤمنين، حيث

---

(١) سورة إبراهيم الآية: (١٣).

نصـــــرهـم ومكّـنـهـم فـي الأرض قـال تـعـالـى ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴾(١) يقول الامام ابن عاشـــور: "فلا جرم أن يكون المراد ب الذين كفروا هنا كفار مكة ويؤيده قوله بعد ذلك (ولنسـكننكم الأرض من بعدهم) فإنه لا يعرف أن رسـولا من رسل الأمم السالفة دخل أرض مكذبيه بعد هلاكهم وامتلكها إلا

النبي محمدا ﷺ، وتفريع جملة(فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين) على قول الذين كفروا لرسلهم(لنخرجنكم من أرضنا) الخ تفريع على ما يقتضيه قول الذين كفروا من العزم على إخراج الرسل من الأرض، فأوحى الله إلى الرسل ما يثبت به قلوبهم، وهو الوعد بإهلاك الظالمين"(٢)، كما اسـتخدم أهل مدين من قبل سـياسـة التهديد والوعيد والاسـتفزاز مع شـعيب عليه السلام لما علموا منه صـبره وجهاده وإصـراره على ابلاغ دعوته إلى الله ﷻ حيث أدركوا حينها أنه لابد من وسيلة أقوى لإسكات صـوت الحق، والوسـيلة هذه المرة هي التهديد والوعيد فقد تدارسـوا الأمر، وتبادلوا الآراء، وأجمعوا كيدهم على أن يرجموه بالحجارة حتى يقضـون عليه وعلى دعوته، ولكن رجعوا إلى صـوابهم عندما سكت غضـبهم، وتذكروا أن لشـعيب عليه السلام عشـيرة كريمة شريفة بينهم، وما زالت على دينهم، فلو قتلوا ابنها فإن هذه العشيرة ستأخذها عزة الأخوة، وشفقة النبوة التي تربطها بشـعيب عليه السلام فيغضـبون له، وهذا الذي يخشـاه القوم؛ لهذا قالوا لشـعيب عليه السلام ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ﴾(٣) "أي لا يصـدنا عن رجمك

---

(١) سورة إبراهيم الآيتان: (١٣، ١٤).

(٢) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»- المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)- الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس- سنة النشر: ١٩٨٤ هـ (٢٠٧/١٣).

(٣) سورة هود جزء الآية: (٩١).

شـــــيء إلا مكان رهطك فينا، لأنك أوجبت رجمك بطعنك في ديننا والرهط إذا أضـــــيف إلى رجل أريد به القرابة الأدنون.. ولم يقولوا قومك، لأن قومه قد نبذوه. وكان رهط شـعيب- عليه السـلام من خاصـة أهل دين قومه فلذلك وقروهم بكف الأذى عن قريبهم لأنهم يكرهون ما يؤذيه لقرابته. ولولا ذلك لما نصـره رهطه لأنهم لا ينصـرون من سـخطه أهل دينهم. على أن قرابته ما هم إلا عدد قليل لا يخشى بأسهم ولكن الإبقاء عليه مجرد كرامة لقرابته لأنهم من المخلصين لدينهم"(١).

"ولكننا صبرنا عليك إكراماً لرهطك على أن نضع أمامك خيارين لحل الإشكال القائم بيننا وبينك هذان **الخياران هما**: إما ان تخرج أنت ومن معك من المؤمنين من مدينتنا فتريحنا من سـماع ما تقوله لنا وتنجو بنفسـك وبمن معك من بطشـنا وعداوتنا.

والخيار الثاني: والذي تتمناه أنفسنا مع أنه صعب عليك تحقيقه، ونحن نعلم أنك ستمانع في تنفيذه، وهو رجوعك أنت وأنصارك إلى شريعتنا التي كان عليها آبائنا، وعليها نحن الآن فإن استجبتم لنا فستجدون منا المعاملة الطيبة، وتجلسون بيننا مكرمين لا نمسكم بسوء ولا نخرجكم من قريتنا"(٢)، ولو يكتف أهل مكة بمقابلة الرسول ﷺ بالتهديد والوعيد بل تعدوا ذلك إلى اتباع سياسة الاستفزاز معه ﷺ قال تعالى: ﴿ **وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَاۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾(٣)، **والاستفزاز**: الاستخفاف والاثارة، وهي ضرب من التحريض(٤)،

---

(١) التحرير والتنوير (١٤٩/١٢) مرجع سابق.

(٢) الإخراج من الأوطان- (صـ ١٤٠) - مرجع سابق.

(٣) الإسراء الآية: (٧٦).

(٤) معجم لغة الفقهاء - محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي - دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م- (ص٦٣).

والاستفزاز: الحمل على الترحل، وهو استفعال من فز بمعنى: بارح المكان، أي كادوا أن يسعوا أن تكون فازا: أي خارجا من مكة، والمعنى: كادوا أن يخرجوك من بلدك، وذلك بأن همُوا بأن يخرجوك كرها ثم حرمهم الله من ذلك؛ ليكون خروجه بغير إكراه حين خرج مهاجرا عن غير علم منهم؛ لأنهم ارتأوا بعد زمان أن يبقوه بينهم حتى يقتلوه، وقوله: (ليخرجوك)تعليل للاستفزاز، أي استفزازا لقصد الإخراج، والمراد بالإخراج: مفارقة المكان دون رجوع. وبهذا الاعتبار جعل علة للاستفزاز لأن الاستفزاز أعم من الإخراج[1].

وقد بيَن تعالى في هذه الآية الكريمة أنه أوحى إلى رسله أن العاقبة والنصر لهم على أعدائهم، وأنه يسكنهم الأرض بعد إهلاك أعدائهم، وبين هذا المعنى في آيات كثيرة[2].

وبذلك يظهر في الآية إيماء إلى أن الرسولﷺ سيخرج من مكة، وإن مخرجيه أي المتسببين في خروجه لا يلبثون في مكة إلا قليلا، وهي سنة الله مع أنبيائه الذين أخرجوا من ديارهم؛ أن لا يبقوا أقوامهم بعدهم في الأرض التي أخرجوهم منها، فقد خرج هود من ديار عاد إلى مكة، وخرج صالح من ديار ثمود، وخرج إبراهيم ولوط –عليهم السلام– وهلكت أقوامهم.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير– (١٧٩/١٥) – مرجع سابق– بتصرف.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) – دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان– عام النشر: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ –(٢/٢٤٤).

٢. الأذى والاضطهاد والتعذيب:

ومن صور التضييق التي استخدمها أعداء الدعوة؛ لإخراج الأنبياء والرسل عليهم السلام وأتباعهم إلحاق الأذى والاضطهاد بهم وباللمؤمنين، وقد رسم السياق القرآني آيات بينات في أكثر من موضع لهذا الجانب قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾[٢].

قال الامام البيضاوي: فَالَّذِينَ هاجَرُوا إلخ.. تفصيل لأعمال العمال وما أعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم، والمعنى فالذين هاجروا الشرك أو الأوطان والعشائر للدين. (وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي)بسبب إيمانهم بالله ومن أجله وَقاتَلُوا الكفار. وَقُتِلُوا في الجهاد... لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ لأمحونها. وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ ثَواباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أي أثيبهم بذلك إثابة من عند الله تفضلاً منه، فهو مصدر مؤكد. وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوابِ على الطاعات قادر عليه[٣]، وشواهد هذه الآية كثير في كتاب الله قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن

(١) سورة محمد الآية: (١٣)

(٢) سورة آل عمران الآية: (١٩٥).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل- ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي- دار إحياء التراث العربي – بيروت- الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ(٢/٥٥)

بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾[1]وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[2].

٣. السعي في إخراج المسلمين من ديارهم: -

كما فعل أعداء الدعوة من المنافقين فقد ظلت أهدافهم تتطلع إلى إخراج النبيﷺ وتاقت أنفسهم الشريرة إلى ذلك قال تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [3]، فقد ذكر الإمام البغوي في معالم التنزيل طرفا من أسباب نزول الآيات مما ذكره الإمام محمد ابن اسحاق وغيره حيث وضح ذلك عند عودة النبي ﷺ من غزوة بني المصطلق، واختلف أجيران أحدهما، لعمر والآخر حليفا لبني عوف واقتتالهم واستصراخهم الأنصار والمهاجرين، فقال ابن أبي: أفعلوها؟ فقد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة؛ ليخرجن الأعز منها الأذل، يعني بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله ﷺ، ثم أقبل على من حضره من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما الله ولو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا، ولتحولوا إلى غير بلادكم، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد، فقال زيد بن أرقم: أنت –والله –الذليل القليل المبغض في قومك، محمد ﷺ في عز من الرحمن ومودة من المسلمين... وانتهى الأمر إلى أن يقف ولد عبدالله ابن أبي ابن سلول

(١) سورة النحل الآية: (٤١).

(٢) سورة النحل الآية: (١١٠).

(٣) سورة المنافقون الآية: (٨).

ليستأذن من رسول الله ﷺ أن يضرب عنق أبيه ويعفو عنه ﷺ[1]، "وهكذا اقتضت حكمة الله في سنته الجارية على خلقه أن يكون الأنبياء والرسل أئمة للناس في الخير والابتلاء، بل هم أعظم ابتلاء إذ الابتلاء على قدر الإيمان، لذا جرت سنن الله في إخراج الأنبياء والرسل إما تسليطاً من الكفار والأعداء عليهم، وإما هجرة يؤمرون بها من قبل الله، وإما سياحة في الأرض تفكراً في خلق الله، وما جرى للرسل والأنبياء جرى لاتباعهم من حملة الرسالات والدعوات "[2]، ولو تأملنا أعداء الدين وما وصفهم به سبحانه في كتابه العزيز؛ لأدركنا أن التخوف من المؤمنين كان سبباً أساسياً لاعتماد مبدأ العداء والإخراج لهم من ديارهم، وقد صرح القرآن الكريم بذلك ما جاء على لسان فرعون ﴿ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴾[3]، وجاء في معنى قول فرعون: ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسى، وكان ملَؤه إذا همَّ بقتله كفّوه، وقالوا: ليس بالذي تخافه، وهو أقل من ذلك، وما هو إلا ساحر، وإذا قتلتَه أدخلتَ شبهة على الناس، واعتقدوا أنك عجزت عن معارضته بالحجة، والظاهر من دهاء اللعين ونكارته أنه قد استيقن أنه نبيّ، وأن ما جاء به آيات باهرة، وما هو بسحر، ولكن كان يخاف إن همّ بقتله أن يعاجَل بالهلاك، وكان قوله تمويهاً على قومه، وإيهاماً أنهم هم الكافُّون عن قتله، ولو لاهم لقتله، وما كان

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي – محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) – تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش–دار طيبة للنشر والتوزيع –الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م. –(٥/ ٩٩) – باختصار.

(٢) الإخراج من الديار–(صـ١١٨) – مرجع سابق. الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية – عبد الله خضر حمد– دار القلم، بيروت – لبنان– الطبعة: الأولى، ١٤٣٨ هـ – ٢٠١٧ م (١٠/٣)

(٣) سورة غافر الآية: (٢٦).

يكفه إلا ما في نفسه من الفزع الهائل. وقوله: وَلْيَدْعُ رَبَّهُ تجلُّد منه وإظهار لعدم المبالاة بدعائه، ولكنه أخوف ما يخافه[1]، وقد جاء في آيات كثيرة من كتاب الله أن أعظم أسباب مخافة فرعون وقومه من موسى عليه السلام هو الإخراج من البلاد قال تعالى: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾[2] ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَـٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾[4]، قال الامام الطبري رحمه الله في معنى قوله (قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى): " قال فرعون لما أريناه آياتنا كلها لرسولنا موسى: أجئتنا يا موسى لتخرجنا من منازلنا ودورنا بسحرك هذا الذي جئتنا به "[5]، ولو تأملنا الآيات السابقة لوجدنا أن هذا التخوف كان سببه أمور نفسية عديدة تتبع الإخراج من الديار وهي خشية فرعون وقومه من امتداد دعوة موسى عليه السلام وأتباعه المسلمين وبلوغها إلى قلوب العامة، ومن تزايد عدد المسلمين وغلبتهم للمعارضين لهم، والتخوف من سيطرة نفوذهم، وامتداد تواجدهم، وقوة مراكزهم، ومن سيطرة دينهم على قلوب وعقول الناس، وقد بين سبحانه وتعالى لنا في كتابه الكريم وصفا بليغا دقيقا لحقيقة أعداء الدين وعلى رأسهم الكفار والمنافقين – ظاهرهم وباطنهم – وبيَن أن الخوف والوهن والجزع هو أهم ما يميز شخصياتهم الضعيفة فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد–(١٢٦/٥) – مرجع سابق.
(٢) سورة طه الآية: (٥٧).
(٣) سورة الأعراف الآية: (١٢٣).
(٤) الأعراف الآية: (١١٠).
(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن. الطبري (٣٢٢/١٨) مرجع سابق



﴾[1]، **يقول ابن كثير في معناها**: أي: كانوا أشكالا حسنة وذوي فصاحة وألسنة، إذا سمعهم السامع يصغي إلى قولهم لبلاغتهم، وهم مع ذلك في غاية الضعف والخور والهلع والجزع والجبن؛ ولهذا قال: ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: كلما وقع أمر أو كائنة أو خوف، يعتقدون، لجبنهم، أنه نازل بهم[2].

ومن خلال ما سبق يمكن القول: أن أعداء الدين من الكفرة والمشركين والمنافقين لم يألوا جهداً ولا سبيلا في التضييق على الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم إلا واتخذوه نهجا وسبيلا لهم، فقد تنوعت أساليبهم من تهديد ووعيد واستفزاز، وتضييق وتعذيب واضطهاد، حتى عمدوا إلى إخراجهم وطردهم من ديارهم، وما ذلك إلا خوفا من ظهورهم وامتداد دعوتهم وغلبتهم للمعارضين لهم، ولكن وعد الله حق، والله متم نوره ولو كره الكافرون.



---

(١) سورة المنافقون الآية: (٤).

(٢) تفسير ابن كثير (١٢٦/٨) مرجع سابق.

المبحث الثاني:

الغاية من هجرة الأنبياء عليهم السلام

ويتكون من تمهيد وخمسة مطالب:

المطلب الأول: الاطمئنان القلبي والنفسي للتقدير الإلهي.

المطلب الثاني: تنقية الصف المسلم من الدخلاء.

المطلب الثالث: الإبقاء على الفئة المؤمنة.

المطلب الرابع: حسن إدارة الصراع مع أهل الباطل.

المطلب الخامس: بناء جيل صالح لا يقبل المساومة.



المطلب الأول: الاطمئنان القلبي والنفسي للتقدير الإلهي.

لا شك أن عيش الإنسان في موطنه حيث مسكنه وملبسه ومنشأه حق كفلته كل الشرائع السماوية، وآمنت به كل العقول البشرية، فالإنسان لا يشعر بالراحة والطمأنينة والسكن والأنس إلا في موطنه وبين أهله وعشيرته، وكلما ابتعد الإنسان عن وطنه كلما ازداد حزنا وأسىً، ولذلك لما سئل إمام الحرمين الجويني ﵁ "حين جلس موضع أبيه لم كان السفر قطعة من العذاب فأجاب على الفور؛ لأن فيه فراق الأحباب"(١)؛ ولأن سنة الله في الأرض لا تخلو من وجود الطغاة الظالمين، الذين يحاربون دين الحق ويعادون أهله، ويسومونهم سوء العذاب بإخراجهم وهجرتهم من أرضهم وديارهم، ومع ذلك فإن رحمة الله تعالى لا تنفك عن البلاء فينزل معه سبحانه لطفه وتأييده ورحمته على الأنبياء عليهم السلام – مقابل هذا العذاب والبلاء من أعدائهم– ومن صور هذا التأييد ما يمنحه سبحانه لأنبيائه من شعور الاطمئنان القلبي والأمان النفسي لهذا التقدير الإلهي، حين يذكرهم بما أعده لهم من الثواب الجزيل، والفوز العظيم قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾(٢).

ومن مظاهر الاطمئنان القلبي والنفسي للتقدير الإلهي: أن يُعلم أن الإخراج والهجرة من ديار الكفر يحقق مبدأ النجاة لأولياء الله، فأعداء الحق يبغضون الحق وأهله، لذلك انتهجوا سياسة استئصال وهجرة المؤمنين الموحدين من ديارهم، ويؤكد

---

(١) فتح الباري لابن حجر – (٣/ ٦٢٤)– مرجع سابق.

(٢) سورة آل عمران الآية: (١٩٥).

ذلك ما حدث مع نبي الله موســـى عليه السلام في حادثة قتل القبطي عندما عزم القوم على قتله، فجاء مؤمن من آل فرعون من أقصـــى المدينة يســعى؛ ليخبره بأن الملأ قد تآمروا على قتله، وأمره بالخروج ناصـــحا له، فكان الخروج نجاة له ولدعوته التي جاء بها، وحينما يكون دأب أهل الباطل ملاحقة أهل الحق، والتنكيل بهم والنيل منهم، حينها يكون الخروج رحمة لهم، مما يشعرهم بالإطمئنان النفسي والقلبي لهذا التقدير الإلهي من الله عز وجل، قال الله عز وجل حكاية عن نبي الله موسى عليه السلام

﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢٠ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(1).

ومن مظاهر الاطمئنان القلبي والنفســـي للتقدير الإلهي: أن المُخرَج الذي ترك الأهل والوطن يبُشِـر بالتثبيت والهداية ونيل رحمة الله عز وجل، لتطمئن نفســه ويرضــى قلبه، قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ۝٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴾(2).

"وهنا يسـاوي الحق سـبحانه بين الأمر بقتل النفس والأمر بالإخراج من الديار، فالقتل خروج الروح من الجســـد بقوة قســـرية غير الموت الطبيعي، والإخراج من الديار هو الترحيل القسري بقوة قسرية خارج الأرض التي يعيش فيها الإنسان، إذن

(١) سورة القصص الآيتان: (٢٠، ٢١).

(٢) سورة النساء الآيات: (٦٦: ٦٨).

فعملية القتل قرينة لعملية الإخراج من الديار فساعة يُقتل الإنسان فهو يتألم، وساعة يخرج من وطنه فهو يتألم، وكلاهما شاق على الإنسان(١).

قال الإمام الطنطاوي: فإن الآية الكريمة تدل على أن الله- تعالى- لم يكلف هذه الأمة إلا بما تستطيعه، لأنه- سبحانه- لو كلف الناس جميعا بالتكاليف الشاقة، لما استطاع أن يقوم بها إلا عدد قليل منهم، وهذا الدين لم يجئ لهذا العدد القليل من الناس وإنما جاء للناس جميعا. والمراد: أننا لم نكتب على الناس قتل أنفسهم أو خروجهم من ديارهم لأننا لو فعلنا ذلك لما استطاعه إلا عدد قليل منهم. وإنما الذي كتبناه عليهم هو طاعة الرسول ﷺ والخضوع لحكمه في الظاهر والباطن والاستجابة لتوجيهاته في السر والعلن.

فالمقصود من الآية الكريمة بيان لمظهر من مظاهر فضل الله على هذه الأمة، ورحمته بها، وتحريض الناس على الامتثال لشريعة الله- تعالى- قال ابن كثير: لما نزلت وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ.. الآية. قال رجل: لو أمرنا لفعلنا، والحمد لله الذي عافانا. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «إن من أمتى رجالا، الإيمان أثبت في قلوبهم من الرواسي» ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾، ولو ثبت أن هؤلاء الذين أمرناهم بطاعتنا فَعَلُوا ما يُوعَظُونَ بِهِ أى: ما أمرناهم به من اتباع لرسولنا ﷺ وانقياد لحكمه، لكان ما فعلوه خَيْراً لَهُمْ في دنياهم وآخرتهم، ولكان أَشَدَّ تَثْبِيتاً لهم على الحق والصواب، وأمنع لهم من الضلال، ثم بين- سبحانه- ما لهم بعد ذلك من أجر عظيم فقال: ﴿ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ أي: وإذا لو ثبتوا على طاعتنا لأعطيناهم من عندنا ثوابا عظيما لا

---

(١) تفسير الشعراوي – الخواطر – محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)- مطابع أخبار اليوم بدون. – (٤/٢٣٨٦: ٢٣٧٩)- باختصار.

يعرف مقداره إلا الله- تعالى- ولتقبلناهم وأرشدناهم إلى سلوك الطريق المستقيم وهو طريق الإسلام الذي باتباعه يسعدون في دنياهم وآخرتهم"[1].

ومن مظاهر الاطمئنان القلبي والنفسي للتقدير الإلهي: اليقين بحصول الثواب الجزيل من المولى سبحانه؛ حيث نزل القرآن الكريم ليطمئن النفوس والقلوب بمنحهم الأجر العظيم والثواب الجزيل، ويكتب لهم الحسنة في الدنيا والآخرة؛ مقابل إخراجهم وتهجيرهم من أوطانهم احتسابا لله ولنصرة دينه قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[2].

حيث تبين الآية الكريمة "جزاء المهاجرين في سبيل الله، ابتغاء مرضاته، الذين فارقوا الدار والإخوان، رجاء ثواب الله وجزائه، والمعنى: والذين فارقوا ديارهم وأوطانهم، وتركوا أموالهم وأولادهم في سبيل الله، وحبا في إرضائه، وذهبوا إلى ديار أخرى، بعد أن ظلموا وأوذوا من الأعداء، لننزلنهم في الدنيا دارا أو بلدة حسنة، ومنزلة حسنة، وهي الغلبة على أهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة، وعلى أهل المشرق والمغرب، فالحسنة: هي المنزلة الطيبة، والمسكن المرضي، والموطن الأصلح وهو المدينة، وقيل: هي الرزق الطيب ولا منافاة بين القولين، فإنهم تركوا مساكنهم وأموالهم، فعوضهم الله خيرا منها في الدنيا فإن من ترك شيئا لله، عوضه الله بما هو خير له منه، وكذلك أصبحوا سادة العباد والبلاد[3].

ومما سبق يمكن القول: إن عيش الإنسان في دياره وبين مجتمعه حيث الأمان النفسي والاجتماعي هو نعيم لا يضاهيه نعيم، ولكن قد يكتب الله على العبد المؤمن الإخراج والهجرة والطرد من الديار؛ ولكن يرزقه حينها الثبات واليقين بما أعده الله له من الجزاء والنعيم فيصبر ويحتسب، وهذا لا شك مما يبعث الاطمئنان النفسي للتقدير الإلهي الذي أراده الله.

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم – محمد سيد طنطاوي – دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة- الطبعة: الأولى- (٣/٢٠٥- ٢٠٦) – بتصرف.

(٢) سورة النحل الآيتان: (٤١، ٤٢).

(٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (١٤/١٤١) – مرجع سابق.

المطلب الثاني: تنقية الصف المسلم من الدخلاء.

"إنما تقوم الدعوات، وتنهض الأمم بتطهير صفوفها من المنافقين والمخادعين، ولا يثبت للشدة إلا كل صادق العزيمة، مخلص النية، ثابت المبدأ، وكثيراً ما عوّق الضعاف والمخادعون سير دعوات الاصلاح في الأمة، وحالوا بينها وبين النصر، أو أخروها ولو إلى حين" (١).

فالمصائب والشدائد والأزمات التي حصلت لأنبياء والرسل وأتباعهم؛ كانت في أصلها رحمة من الله ﷻ وكان من ثمارها الطيبة تنقية الصف المسلم المتبع من الدخلاء، فيخرج الخبيث، ويتساقط ضعاف الإيمان، ويهوي المنافقون، وتُظهر هذه الأزمات المعدن الأصلي وحقيقة الاتباع، وبالتالي لا يستمر في الطريق إلا من خالط الإيمان بشاشة قلبه، فعندما تنزل بساحته البلايا والمحن نراه ثابت كالجبال الرواسي، يعيش في معية قول الله ﷻ ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾(٢)؛ ولأن الحرب بين الحق والباطل سنة من سنن الله ﷻ من أجل ذلك ستبتلى الأمة المؤمنة بصفة عامة، وسيبتلى كل فرد من أفرادها بصفة خاصة، ولن يكون هناك أي استثناء، كما أخبرت الآية الكريمة، فلابد من ابتلاء ولابد من فتنة؛ حتى تحدث ثلاثة أشياء مهمة نتيجة هذا الابتلاء: تنقية، وتربية، وتزكية.

الأمر الأول: التنقية، فما أسهل أن يقول المرء بلسانه: آمنت وصدقت وأيقنت، لكن ما أصعب العمل، ولابد من اختبار وإيذاء الدعاة والملتزمين بنهج الله ﷻ

(١) السيرة النبوية – دروس وعبر – مصطفى بن حسني السباعي (ت ١٣٨٤هـ) – المكتب الإسلامي – الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م(١٦٠).

(٢) سورة العنكبوت الآيتان: (٢، ٣).

ونهج رسوله الكريم، هذه سنة ماضية لتنقية الصف المؤمن من المنافقين ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾، وإلا لقال كل الناس: نحن مسلمون، نحن مجاهدون في سبيل الله، لكن حينها لابد من ابتلاء حقيقي وشديد.

الأمر الثاني: التربية، يريد ربنا سبحانه وتعالى لهذه الأمة أن تقود العالمين، وقيادة العالمين تحتاج إلى طراز فريد من البشر لا يهتز أمام العواصف، والابتلاء برنامج تدريبي متدرج للمؤمنين، يرتفع بمستوى المؤمن يوماً بعد يوم، وكلما عظمت مهام المؤمن ازداد بلاؤه؛ ليزداد إعداده كالذهب كلما اصطلى بالنار كان أنقى، وهكذا المسلم الصادق يخرج من الابتلاء أقوى وأعظم.

الأمر الثالث: التزكية، أي: التطهير من الذنوب والخطايا، ومن محبة الله للعبد أن يكتب له الدرجة العالية في الجنة، وهذه الدرجة لا يبلغها بعمله، فيبتليه سبحانه وتعالى فيصبر، فيبلغ الدرجة العالية: (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه)(١)، إذا كانت الشوكة تعمل هكذا، فما بالك بالضرب والجلد والحبس والتعذيب، هذا كله مصلحة للمؤمنين(٢).

ويُلمح ذلك من نجاة المؤمنين الذين اتبعوا الأنبياء والرسل – عليهم السلام – فعندما كذب الأنبياء ولم يؤمن بهم إلا القليل، نجى الله ﷻ هذه القلة؛ تنقية من الكثرة الفاسدة، وأمرهم الله بالهجرة والانتقال إلى مكان آخر يحسنون فيه عبادة الله، فخرجوا وهاجروا من بلادهم وأوطانهم، فكانت هذه النجاة بمثابة تنقية الصف

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه – كتاب المرضى – باب ما جاء في كفارة المرضى – (١١٤/٤) حديث رقم (٥٦٤١).

(٢) السيرة النبوية – راغب الحنفي راغب السرجاني – دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية(٧/٧) – http: //www. islamweb. net باختصار.

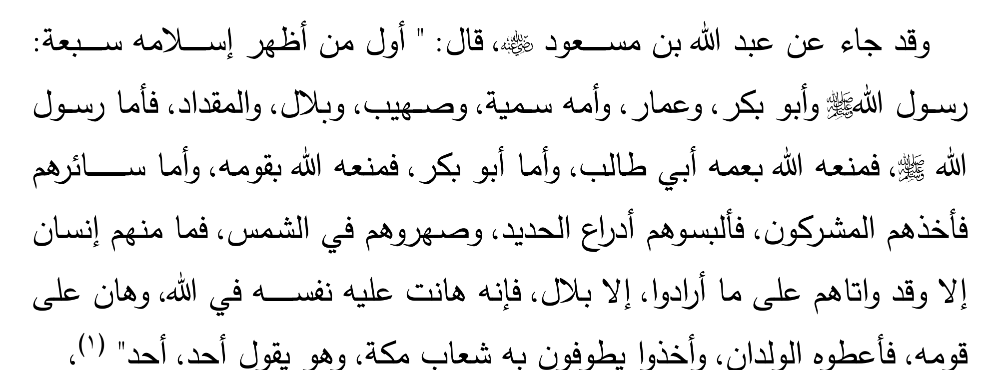
المؤمن؛ ونصرة لهم حيث أهلك الله عدوهم وكانت العاقبة لهم، ومما يدل على تنقية الصف المسلم أن عبودية الله مطلوبة في السراء والضراء فقد تعرض النبي ﷺ واصحابه إلى التعذيب، والاضطهاد وخاصة في بداية العصر النبوي " والتعذيب بقى ما بقيت الدعوة في مكة، وكان العذاب يزداد ويتنوع على نفس الأشخاص وعلى غيرهم كلما دعوا أفراداً جدداً إلى الإسلام، وكلما رأى المشركون ازدياد عدد المسلمين، حتى آل الحال بهم إلى ترك مكة والهجرة إلى الحبشة، أو التخفي أو الدخول في جوار الكفرة"(١).

وكانت الموالي من أكثر الطوائف التي عُذبت فصبرت، فتبيَن صدق الإيمان من كذبه، بل ومن شدة التعذيب عذرهم الله بنطق كلمة الكفر؛ ليخففوا بها عن أنفسهم سو ء العذاب، قال سعيد بن جبير رضي الله عنه لابن عباس – رضي الله عنهما –: «أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟ قال: «نعم والله، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجوعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوى جالساً من شدة الضرب الذى نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له: اللات والعزى إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم، افتداء منهم مما يبلغون من جهده»(٢).

---

(١) السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية – محمد بن مصطفى بن عبد السلام الدبيسي –(ص: ٣٦٥) – رسالة دكتوراة، كلية الآداب – جامعة عين شمس، القاهرة – إشراف: الأستاذ الدكتور عفت الشرقاوي عام: ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م

(٢) المرجع السابق ص(٣٦٥)، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام – عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) – تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر – الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م – (١/ ٣٢٠).



وقد جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: " أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله ﷺ، فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر، فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، فألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد واتاهم على ما أرادوا، إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأعطوه الولدان، وأخذوا يطوفون به شعاب مكة، وهو يقول أحد، أحد" [(١)]،

ولا شك أن هناك فرق شاسع بين هؤلاء القوم الذين نالوا الرضى من الله سبحانه، وبين هؤلاء المنافقين الذين أظهروا الإسلام وأضمروا الكيد له، ولذلك فقد هتك الله سبحانه أستارهم، "وكشف أسرارهم في القرآن، وجلى لعباده أمورَهم ليكونوا منها ومن أهلها على حذر، وذكر طوائف العالم الثلاثة في أول سورة البقرة: المؤمنين، والكفار، والمنافقين. فذكر في المؤمنين أربع آيات، وفي الكفار آيتين، وفي المنافقين ثلاث عشرة آية، لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم، وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله، فإن بلية الإسلام بهم شديدة جدا؛ لأنهم منسوبون إليه، وإلى نصرته وموالاته، وهم أعداؤه في الحقيقة، يخرجون عداوته في كل قالب، يظن الجاهلُ أنه عِلْم وإصلاح وهو غاية الجهل والإفساد، فلله كم من معقل للإسلام قد هدموه؟! وكم من حِصْن له قد قلعوا أساسه وخربوه؟! وكم من عَلَمٍ له قد طمسوه؟! وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه؟! وكم ضربوا بمعاول الشبَهِ في أصول غراسه ليقلعوها؟! وكم عمّوا عيون موارده بآرائهم ليدفنوها ويقطعوها؟! "[(٢)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده – مسند المكثرين من الصحابة – مسند عبدالله بن مسعود – (٣٨٢/٦) – حديث (٣٨٣٢) وقال المحقق: إسناده حسن.

(٢) التعذيب بقى ما بقيت الدعوة في مكة– محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)– (صـ: ٤) – الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف

فهؤلاء المنافقين رأس مالهم الخديعةُ والمكر، وبضاعتهُم الكذبُ، وعندهم العقل المعيشي: إن الفريقين عنهم راضون، وهم بينهم آمنون ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾[1] قد نهكت أمراض الشبهاتِ والشهواتِ قلوبَهم فأهلكتهْا، وغلَبَتْ القصود السيئةُ على إرادتِهم ونياتهم فأفسدَتهْا، ففسادهم قد ترامى إلى الهلاك، فعجز عنه الأطباء العارفون ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴾[2] ومن غَلِقت مخالبُ شكوكهم بأديم إيمانه مزقته كل تمزيق، ومن تعلق شررُ فتنتِهم بقلبه ألقاه في عذاب الحريق، ومن دخلت شبهاتُ تلبيسهم في مسامعه حال بين قلبه

وبين التصديق، ففسادُهم في الأرض كثير وأكثر الناس عنه غافلون ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴾[3]، [4].

فالمنافقين في أيّ مجتمعٍ "كالسرطان، يسرِي في الجسد، ينفثون سُمَّهم الزُّعاف في زمن المحن والبلاء، ويكشِّرون عن أنيابهم أوقاتَ الكرب والضيق، فهم في السراء عالةٌ، وفي الضراء سوسٌ ينخر في العظام، يدَّعون الإيمان، ويحسِّنون الأقوال، وربما ساعدهم في ذلك ذلاقة ألسنتهم، وحسنُ هيئتهم، وبراعةِ تصنُّعهم، يبررون الضعف، ويخرجون من كل موقف بعذرٍ، ولهم بين المؤمنين سماعون

السعودية بدون بيانات – ١٤١٠ هـ.

(١) سورة البقرة الآية: (٩)

(٢) سورة البقرة الآية: (١٠)

(٣) سورة البقرة الآيتان: (١١، ١٢).

(٤) التعذيب بقى ما بقيت الدعوة في مكة –(صفات المنافقين) – (صـ: ٧) – مرجع سابق.

لهم، قد انخدعوا ببريق أقوالهم، ووثقوا بغليظِ أيمانهم ولكم صـــوبوا من ســـهامٍ مسمومةٍ، ولكم وجَّهوا من ضرَبَاتٍ داميةٍ، وطَعَنَاتٍ غائرة! ولكن: قد يحصدُ الطغيانُ بعضَ ثِمَارِهِ لكنَّ عُقْبَى الظالمين دَمَارُ "[1].

ولذلك فإن النفس البشرية لا يظهر صدق انتمائها إلا بالتكاليف الشرعية، ومن أعظم هذه التكاليف التي أظهرت فســـاد أخلاقهم وســـوء نياتهم ما ذكره الله من تقاعســـهم عن الخروج مع رسـول الله ﷺ متعللين بالحجج الواهية والأعذار الباطلة قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾[2].

وعن علقمة بن وقاص قال: سمعت عمر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: الأعمال بالنية، فمن كان هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه، ومن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله) [3].

ولذلك فقد " كان المهاجرون قبل فتح مكة يهاجرون منها إلى مدينه النبي ﷺ وقد هاجر من هاجر منهم قبل ذلك إلى أرض الحبشـة إلى النجاشـي فأخبر ﷺ أن هذه الهجرة تختلف باختلاف المقاصـــد والنيات بها، فمن هاجر إلى دار الإســـلام حبا لله ورســوله، ورغبة في تعلم دين الإســلام، وإظهار دينه حيث كان يعجز عنه في دار الشرك؛ فهذا هو المهاجر إلى الله ورسوله حقا، وكفاه شرفا وفخرا أن حصل له ما نواه من هجرته إلى الله ورسوله، ولهذا المعنى اقتصـر في جواب هذا الشـرط

---

(١) التفسير الموضوعي لسورة المنافقون – أحمد بن محمد الشرقاوي – (صـ: ٢) – جامعة القصيم – ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧ م

(٢) سورة التوبة الآية: (٤٦).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه – كتاب: مناقب الأنصار– باب: (٥/٥٦) – حديث: (٢٨٩٨).

على إعادته بلفظه؛ لأن حصـــول ما نواه بهجرته نهاية المطلوب في الدنيا والآخرة –ومن كانت هجرته من دار الشرك إلى دار الإسلام؛ ليطلب دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها في دار الإســـلام فهجرته إلى ما هاجر من ذلك فالأول تاجر والثاني خاطب، وليس بواحد منهما مهاجر وفي –قوله ﷺ إلى ما هاجر إليه: تحقير لما طلبه من أمر الدنيا، واستهانة به حيث لم يذكر بلفظه وأيضـا أن الهجرة إلى الله ورسـوله واحدة فلا تعدد فيها فلذلك أعاد الجواب فيها بلفظ الشـرط، والهجرة لأمور الدنيا لا تنحصر فقد يهاجر الإنسان لطلب دنيا مباحة تارة ومحرمة تارة، وأفراد ما يقصـد بالهجرة من أمور الدنيا لا تنحصـر فلذلك قال فهجرته إلى ما هاجر إليه يعني كائنا ما كان"[1].

من خلال ما سبق يمكن القول: **إن** تنقية الصف المسلم من الدخلاء أمرا لا بد منه حتى يتبين الحق من الباطل، والمصـلح من المفسـد، ويتميز الصـادق من الكاذب، والصـالح من الطالح؛ فيخرج الخبيث، ويتهاوى الباطل، ويتساقط ضـعاف الإيمان، وهذا ما حدث في دعوات الأنبياء والرسل – عليهم السلام –.

---

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم – زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥ هـ) – (صد ١٤) – دار المعرفة – بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ، إتحاف القاري بدرر البخاري – المؤلف: أم الليث(٢/ ١٠) – بدون.

المطلب الثالث: الإبقاء على الفئة المؤمنة.

من خلال النظر في آيات القرآن الكريم؛ نجد أن التهديد بالطرد والنفي والإبعاد من الديار أحد صنوف الايذاء التي واجهها الأنبياء والرسل – عليهم السلام – فقد أورد القرآن الكريم حوارا موحدا جاء على لسان كل الانبياء في كل عصر، يؤكد ما جرى بينهم وبين خصومهم من الكفرة والمشركين، اذ كانوا يهددونهم عليهم السلام بالطرد والاخراج والنفي إذا لم يعودوا إلى ملة الكفر قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[1].

وقد يلزم الأمر أحيانا الاضطرار للهجرة، والخروج من الديار فرارا من الاضطهاد وانقاذا للنفس وحفظا للفئة المؤمنة من الزوال والاندثار، وهذا ما حدث مع نبي الله إبراهيمعليه السلام لما هدده أبوه بالرجم، وآذنه بالطرد، وهاجر لوط، عليه السلام، وموسى عليه السلامالذي كان يرجو النجاة من العنت والاذى، ويُفضل الخروج والهجرة خوفا من جبروت فرعون وطغيانه، فضلا على أنه كان من أهداف رسالته أن يهاجر ببنى اسرائيل من مصر، يقول تعالى على لسان نبي الله موسىعليه السلام لفرعون وملائه ﴿ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴾[2] أي أن نبي الله موسى عليه السلام يستعيذ بالله من أن يرجموه، ويدعو فرعون إن لم يؤمن به أن يتركه ويعتزله بقومه

وفى قصة الفتية المؤمنين من أهل الكهف حيث يصمم الفتية على الخروج والهجرة واعتزال قومهم خوفا من الرجم، أو الفتنة عن الدين قال تعالى: ﴿ وَإِذِ

(١) سورة إبراهيم الآية: (١٣).

(٢) سورة الدخان: الآيتان: (٢٠، ٢١).

اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ ﴾(1)، وبعد أن أووا الى الكهف ورقدوا فيه ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ثم استيقظوا، ولم ينسوا ما ينتظرهم من عذاب قومهم اذا عثروا عليهم قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾(2).

وبسبب طغيان الكافرين بالدعوة، وايذائهم للأنبياء عليهم السلام وتجاوزه إلى درجة التهديد بالرجم والطرد والقتل فان العقاب الإلهي كان يحل سريعا بالمشركين، فيهلكهم بالصاعقة، أو الصيحة أو الغرق كما ورد في قصص الكافرين من قوم نبي الله نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى... وغيرهم من الأنبياء، ويبدو أن الكثير من الأنبياء قد اضطر للهجرة، وهذا ما نفهمه من قوله تعالى لرسوله ﷺ أثناء هجرته من مكة قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ (3).

ولذلك فقد عرفت الهجرة في أمم الأنبياء السابقة قبل الهجرة التي قام بها الرسول الله ﷺ، وقد شهدت بطحاء مكة الطاهرة صدى إيمان أفضل الناس بعد الرسل إنهم أصحاب الرسول الله ﷺ، الذين حملوا الإسلام عقيدة وفكراً وسلوكاً، وتحملوا في سبيل ذلك أبشع صور الحرمان، والقتل، والتعذيب، فمنهم من يُقتل أمام والديه، ومنهم من يوضع على صدره الصخر، ومنهم من يحرق بالنار، ومنهن من

---

(1) سورة الكهف الآية: (16) .

(2) سورة الكهف الآية: (20)

(3) سورة محمد الآية: (13).



تفقد بصـــرها، دارت صـــور رهيبة ومهيبة لأولئك الذين ختم الله لهم هذه المرحلة بقوله: ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾[(١)].

فقد عاش أتباع الرسول ﷺ حالة من الاضطهاد، والإيذاء، والظلم، والقهر؛ فكانت الهجرة لازمة لهم للخلاص من هذه الهموم، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝٤١ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[(٣)] في هذه الآية يخبر تعالى "عن جزائه للمهاجرين في سبيله وابتغاء مرضاته، الذين فارقوا الدار والإخوان والخلان، رجاء ثواب الله وجزائه، ويحتمل أن يكون سبب نزولها في مهاجرة الحبشة، الذين اشتد أذى الكفار لهم بمكة، حتى خرجوا من بين أظهرهم إلى بلاد الحبشة، ليتمكنوا من عبادة ربهم" [(٤)].

قال ابن كثير: "وهؤلاء صنف آخر كانوا مستضعفين بمكة، مهانين في قومهـم، فوافقوهم على الفتنة، ثم إنهم أمكنهم الخلاص بالهجـــــرة، فتركوا بلادهم وأهليهم وأموالهم، ابتغاء رضوان الله وغفرانه، وانتظموا في ســـلك المؤمنين، وجاهدوا معهم

(١) سورة البينة جزء الآية: (٨).
(٢) سورة النحل، الآيتان: (٤١، ٤٢).
(٣) سورة النحل الآية: (١١٠).
(٤) تفسير ابن كثير – (٢/٥٧١) – مرجع سابق.

الكافرين، وصـــبروا فأخبر تعالى أنه من بعدها، أي تلك الفعلة، وهى الإجابة إلى الفتنة لغفور لهم، رحيم بهم يوم معادهم"(١).

ولقد وضـــح القرآن الكريم؛ ســـبب إخراج المشـــركين لهؤلاء المؤمنين، وهو كراهيتهم للتوحيد وأهله قال تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾(٢).

روى الحاكم في المستدرك عن ابن عباس – رضـي الله عنهما– قال: لما خرج النبي ﷺ من مكة، قال أبو بكر رضي الله عنه: إنا لله وإنا إليه راجعون أخرجوا نبيهم ليُهلكن، فأنزل الله ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْ ﴾ فقال أبو بكر رضي الله عنه: فعلمت أنها قتال. قال ابن عباس– رضي الله عنهما – وهى" أول آية نزلت في القتال" (٣).

﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾: أي الذين أخرجوا من ديارهم، هذا أحد ما ظلموا به، وإنما أخرجوا لقولهم: ربنا الله وحده.... أي اخرجوا بتوحيدهم، أخرجهم أهل الأوثان(٤).

وقد عرفنا الكثير من قصص الإيثار ولا سيما إيثار الأنصار مع المهاجرين رضوان الله عليهم أجمعين الذي قد بلغ مرتبة لا يتسامى إليها البشر إلا بصدق الإيمان، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ

---

(١) تفسير ابن كثير–(٢/٥٩٠).

(٢) سورة الحج الآيتان: (٤١، ٤٢).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك – كتاب الجهاد – (٣/٢٧٧) – حديث (٢٤١١) وقال عنه حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٤) جامع الأحكام – القرطبي – (١٢/٧٥) – مرجع سابق بتصرف.

حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1]

فقد أثنى الله في هذه الآية على الأنصار بِأَنَّهُمْ يحبون المهاجرين، وبأَنَّهم يؤثرون على أنفسهم، وبأَنَّهم قد وُقُوا شُحَّ أنفسهم"[2]، وروى الترمذيُّ عن أنس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة أتاه المهاجرون، فقالوا: يا رسول الله، ما رأينا قوما أبذل لكثير ولا أحسن مواساة في قليل من قوم نزلنا بين أظهرهم لقد كفونا المئونة، وأشركونا في المهنة، حتى لقد خفنا أن يذهبوا بالأجر كله، فقال النبي ﷺ: (لا ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم)[3].

إنه الإيمان بالله وحده الذي يصنع هؤلاء الرجال، ويعظم في هذه النفوس رغبة الإيثار ووصف المهاجرين بالذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، تنبيهاً على أن إعطاءهم مراعى فيه جبر ما نكبوا به من ضياع الأموال والديار، ومراعى فيه إخلاصهم الإيمان، وأنهم مكررون نصر دين الله ورسوله ﷺ، فذيل بقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾[4]، [5].

---

(١) سورة الحشر الآية: (٩).

(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن – أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٥هـ) – المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ(٥-٤٠٩).

(٣) رواه الإمام الترمذي في سننه (٤/٦٥٣) وقال حديث حسن صحيح غريب.

(٤) الحجرات جزء الآية: (١٥).

(٥) التحرير والتنوير – (٢٨ / ٨٩) – مرجع سابق.

ويظل السياق القرآني يدفع المهاجرين إلى التعاطف والتلاحم، والبر والصلة حتى لمن آذاهم، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

وفي هذه الآية ذكر لقصة إيثار أبي بكر الصديق ﷺ حين حلف أن لا ينفق على مسطح بن أثاثة، إذ كان ابن خالته ﷺ، من فقراء المهاجرين، مسكيناً مهاجراً بدرياً، وحلف أبو بكر ﷺ أن لا ينفق عليه؛ لخوضه في أمر أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، ولما قرأها عليه النبي ﷺ قال بلى: أنا أحب أن يغفر الله لي، ورجَّع إلى مسطح نفقته التي كان ينفقها عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً [2].

وبذلك تكون الهجرة هي الدرس الأخير في المرحلة المكية، وهى التصفية النهائية لأنفس الرعيل الأول، لقد طُولب الرعيل الأول من أصحاب رسول الله ﷺ بالتوحيد والعبادة ففعلوا وسُلط عليهم الإيذاء، وأمروا بالصبر، وكف اليد، والاستسلام لأمر الله ففعلوا، وحب الوطن أصيل في النفس، فطولبوا بالهجرة فهاجروا، ثم قاتلوا مع الأنصار أهليهم وقبيلتهم، فوجد بذلك جيل لم يعرف العالم له مثيلاً بالتجرد من أهواء النفوس وعصيانها، والهجرة بالنسبة للدعوة الإسلامية هي أعظم الأحداث الدعوية والحركية؛ لأن بها قامت دولة الإسلام ووجدت قاعدته التي حملت هذه الدعوة ابتداء، وقدمتها للعالم انتهاء، ولذلك أرّخ المسلمون بالهجرة[3]

ومما سبق يمكن القول: إن من الحكمة الإلهية والرحمة الربانية الفرار من بلاد الكفر والخروج منها متى لزم الأمر فرارا بالدين وللحفاظ على أرواح المؤمنين والإبقاء على الصفوة الباقية منهم.

---

(١) سورة النور الآية: (٢٢).

(٢) ينظر: معالم التنزيل – البغوى – (٤ /١٨٥) – بتصرف.

(٣) الأساس في السنة وفقهها – السيرة النبوية – سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ) –(صـ ٣٢٨) دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة – الطبعة: الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.

المطلب الرابع: حسن إدارة الصراع مع أهل الباطل.

إن الصراع بين الحق والباطل سنّة كونية دائمة ومستمرة منذ خلق الله الخلق إلى قيام الساعة، وقد بدأ الصراع بين آدم وإبليس منذ بدء الخليقة، وما زال الصراع حاضر في تاريخ البشرية كلها وعلى رأسهم الأنبياء، الذين حكى لنا القرآن قصص صراعهم مع أقوامهم، وقد أيَّد الله تعالى أنبياءه الكرام بالحكمة في إدارة هذا الصراع فكان لديهم حسن إدارة وتعقل مع المكذبين وأهل الضلال، وقد أشارت آيات القرآن الكريم إلى بدايات الصراع بين الحق والباطل في قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[(١)].

وقد روت لنا كتب التفسير هذا الصراع الذي نشأ بين ابني آدم عليه السلام لصُلْبه، نتيجة خلاف على جارية أرادها كل واحد منهما زوجة لنفسه[(٢)]، وقد بلغ الأمر بينهما مبلغه، فقربا قرباناً، فمن قبل الله قربانه حسم هذا الصراع لصالحه، وكانت الجارية زوجاً له، فلما كان الأمر على غير ما يريد صاحب الباطل هاجت نفسه وقتل أخاه ليمضي إرادته[(٣)].

---

(١) سورة المائدة الآيات: (٢٧ – ٣٠).

(٢) ذكر الإمام الألوسي في تفسيره أنه كان لا يولد لآدم عليه السلام مولود إلا ولد معه جارية فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر، جعل افتراق البطون بمنزلة افتراق النسب للضرورة إذ ذاك. ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – (١١١/٦) مرجع سابق.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم – (٤٢/٢) مرجع سابق.

وقد دلت هذه القصة على أن الصراع قديم قدم الإنسانية، "وهي سنة الله في المجتمعات البشرية أن ينشب النزاع بين الحق والباطل، ويشتد الصراع بين الإيمان والكفر، ولكل اتجاه أعوانه وأنصاره، وسادته وكبراؤه، والأنبياء وأتباعهم من المصلحين يوجدون في هذا الوسط المتصارع، فيتبعهم الضعفاء، ويكفر بهم الأشراف، وينصرهم الأوساط، ويقاوم دعوتهم الأكابر المجرمون الذي يعادون حركة الإصلاح والتقدم، والبناء والتحضر، في كل بيئة ومجتمع، ولكن العاقبة والنصر للمتقين المصلحين، والهزيمة أو الانقراض والخذلان للكافرين المفسدين، وما يمكر هؤلاء الأكابر المجرمون المعادون للرسل إلا بأنفسهم؛ لأن وبال مكرهم عليهم، وعاقبة إفسادهم تلحق بهم، لكنهم عديمو النظر للمستقبل والواقع، والاعتبار بالماضي، وعديمو الشعور والإحساس"(١).

وهذا الصراع كان يحتاج إلى حسن إدارة وترويض من الأنبياء والرسل – عليهم السلام – ونذكر من هذه النماذج ما يلي:

حسن إدارة نبي الله نوح عليه السلام الصراع مع قومه:

بعد أن بيَن نوح عليه السلام لقومه حقيقة التوحيد وأبطل عبادة الأصنام، أخذ يصحح الوضع الاجتماعي المتردي في مجتمعه، قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٢)، (٣).

---

(١) التفسير المنير للزحيلي – (٨/ ٣٠) – مرجع سابق.

(٢) سورة هود الآيات: (٢٩– ٣١).

(٣) مجلة البيان (٢٣٨ عددا) (٤٦/٩٨)– مرجع سابق.

فقوم نوح مثلوا قمة البطر العنصري والتجبر الجنسي، مقسمين المجتمع قسمين: نبلاء أشراف، وأراذل دهماء: [وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي ... " قال ابن كثير: وما نراك اتبعك إلا الذين هم أرذالنا كالباعة والحاكة وأشباههم، ولم يتبعك الأشراف ولا الرؤساء منا، وهؤلاء ناسبهم خطاب التمسك بحق هؤلاء الضعفاء في الدين، والتسليم بأن مرد ذلك إلى الله وحده فلا يستطيع نوح طردهم، ولا يدري بما يدخره الله لهم في الآخرة، إمعاناً في التبكيت، ودحضاً لوسائلهم المعتادة في الرفض، فقد كان فهماً فاسداً مؤداه أن الحق لا يمكن أن يتبعه إلا الأشراف دون غيرهم"(١).

وقد رد نبي الله نوح عليه السلام هذا الظلم وقاوم هذا الصراع بينه وبين قومه بحكمة بالغة، وبين خطأهم في معتقدهم؛ حيث نفى عليه السلام عن نفسه وعن رسالته كل قيمة زائفة، وكل هالة مصطنعة يتطلبها الملأ من قومه في الرسول والرسالة، ويتقدم إليهم بها مجردة إلا من حقيقتها العظيمة التي لا تحتاج إلى مزيد من تلك الأغراض السطحية، ويردهم إلى نصاعة الحق وقوته(٢).

حسن إدارة نبي الله موسى عليه السلام الصراع مع قومه:

وردت قصة نبي الله موسى عليه السلام مع فرعون في القرآن الكريم في أكثر من أربع وعشرين سورة، بعضها مفصل والآخر بشيء من الإجمال، وتمثل هذه القصة نموذجاً رائعاً لتجسيد الصراع بين الحق والباطل، الحق الذي جاء به نبي الله موسى عليه السلام والباطل الذي تجسد في جبروت فرعون الذي أصبح مثلاً يضرب لكل صاحب باطل متكبر عنيد، ومن عجيب حكمة الله تعالى أن موسى عليه السلام وبني

---

(١) مجلة البيان (٣٢/٧٥) مرجع سابق.

(٢) التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه – أحمد بن عبد الله الزهراني –الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ص(٥١).

إسرائيل كانوا مستعبدين لفرعون وقومه، فأرسله الله تعالى بالهدى والنور ليتبرأ هو وقومه من هذه العبودية الباطلة لفرعون، وداعيا له ولقومه لاتباع الحق، فما كان منهم إلا أن قابلوا هذه الدعوة بالعلو والطغيان، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾(١).

وقد مكث نبي الله موسى عليه السلام يدعو فرعون وقومه سنوات طوال، توعد فرعون خلالها كل من يؤمن برب موسى عليه السلام أصنافاً من العذاب الأليم.

فما كان من نبي الله موسى عليه السلام إلا أن قاوم هذا الصراع بينه وبين فرعون بعد أن أيده الله بالآيات والمعجزات، ولعل هذه الآيات التي أُخذ بها فرعون وقومه من القحط والجفاف والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، كانت تهدف إلى بيان ضعف فرعون وعجزه عن دفع الشر، أو جلب النفع له أو لقومه، لذا فقد كان القوم رغم وثنيتهم وخوفهم من فرعون يهرعون إلى نبي الله موسى عليه السلام متوسلين له أن يدعو ربه لكشف البلاء، ومع ذلك فلم يزدهم كشف البلاء إلا عناداً وتكذيباً، وإصراراً على الكفر والشرك بالله، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾(٢).

وقد لاقى نبي الله موسى عليه السلام وقومه أصنافاً من الأذى والعذاب على يد فرعون وملئه، قال تعالى على لسان بني إسرائيل: ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ

(١) سورة المؤمنون الآيات: (٤٥: ٤٧).

(٢) سورة الأعراف الآية: (١٣٥).

كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[1]، فلما بلغ إيمان السحرة من القوة والثبات مبلغه، وقفوا في وجه فرعون وصبروا على الصلب وقطع الأطراف، قال تعالى: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾[2]، واليقين المطلق برب العالمين، قال تعالى مخبراً عن يقينهم: ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3]، فانتقم الله من فرعون وجنده فأغرقهم أجمعين، قال تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4]، واستخلف المؤمنين وأورثهم مشارق الأرض ومغاربها، قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾[5].

وتمثل هذه القصة نموذجاً للصراع الطويل بين الحق والباطل، الذي استمر فترة من الزمان بين موسى عليه السلام وفرعون، والتي تعامل فيها موسى بشتى أساليب الدعوة بالحكمة مع عدوه، تارة بالحجة والبرهان، وتارة بالحوار والمناظرة والتحدي، ولما تمادى الباطل وأمعن في المؤمنين وسامهم قتلاً وتعذيباً، قصم الله الباطل

(١) سورة الأعراف الآية: (١٢٩).
(٢) سورة الشعراء الآيتان: (٤٩، ٥٠).
(٣) سورة الشعراء الآية: (٥١).
(٤) سورة القصص الآية: (٤٠).
(٥) سورة الأعراف الآية: (١٣٧).



وجنده، وكانت نتيجة هذا الصـراع نصـر قريب للحق، بقدرة الله تعالى دون قتال أو لقاء عسكري.

وهكذا يحسم الإيمان القوي والعقيدة الصالحة المعركة مع الباطل. ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[1]، إنه النصر الذي وعد الله به أهل الإيمان، و هزيمة الباطل الذي واصل أهله العداء لهم وللحق الذي معهم، فيتولى الحق ﷻ حسم هذا الصـــراع بهذه النتيجة التي يفرح بها المؤمنون بنصـــر الله، ويعتبرُ بها الناس أجمعون.

حسن إدارة النبي ﷺ الصراع مع قومه:

يعتبر الصراع الذي مرت به دعوة النبي ﷺ مع الباطل مدرسةً يجدر بكل باحث يريد أن يقف على حقيقة الصراع بين الحق والباطل أن يدرس فيها، ويتدبر هذا النموذج الذي تجلت فيه كل مراحل الصراع الذي بدأ من أول يوم وقف فيه النبي ﷺ على جبل الصفا يدعو قومه للإيمان، وقد ذكر الترمذي في سننه بسنده عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – صعد رسول الله ﷺ ذات يوم على الصفا فنادى: «يا صباحاه»، فاجتمعت إليه قريش، فقال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، أرأيتم لو أني أخبرتكم أن العدو ممسيكم أو مصبحكم أكنتم تصدقوني؟ » فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تبا لك، فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[2]، [3]، وقد أخذ هذا

---

(١) سورة آل عمران الآية: (١٢٦).

(٢) سورة المسد الآية: (١).

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في سننه – (٥/٥٤٨) حديث رقم (٣٣٦٣) وقال هذا حديثٌ حسنٌ صَحِيحٌ – الجامع الكبير (سنن الترمذي) – محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩ هـ)– تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عبد اللطيف حرز الله – الرسالة العالمية – بيروت ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ هـ.

النموذج من الصراع أشكالاً متعددة منها التكذيب تارة، كما قال تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴾[1]، والتعذيب تارة، قال تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴾[2]، ومن محاولة القتل والسجن الإبعاد، والمقاطعة والتجويع، كما بينت ذلك السُنَّة النبوية، "أن قريشا لما رأت أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا به أمنا وقراراً وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه وجعل الإسلام يفشوا في القبائل اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة"[3].

وقد لاقى النبي ﷺ والصحابة ﷺ من جراء هذه المقاطعة التي استمرت ثلاث سنوات أصنافاً من الجوع والحرمان، وقد واجه النبي ﷺ وصحبه هذه الصراعات بكل صبر وثبات ويقين بنصر الله تعالى، وتنوعت مواجهة الباطل بأساليب عدة من صبر وتحمل للأذى قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾ [4]، وقال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾[5] ثم رد

---

(١) سورة ص الآية: (٤).

(٢) سورة البقرة الآية: (٢١٤).

(٣) ينظر: تهذيب سيرة ابن هشام– عبد السلام هارون – الشاملة الذهبية –(صـ٨٢).

(٤) سورة يونس الآية: (١٠٩).

(٥) سورة المزمل الآية: (١٠).

للظلم والعدوان، قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [١] إلى الفتح والتمكين، وقيادة البشرية نحو النور والهداية، حتى غدا دين الله عزيزاً منيعاً بفضل ما بُذل من النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام من صبر وثبات على مدى بضع وعشرين عاماً من الصراع، حتى كُسرت شوكة الكفر وأهله، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وغدا أشد الناس عداوة للنبي ﷺ جنداً مخلصين لله ولرسوله ولدينه، فأي نصر هذا الذي حازه أصحاب رسول الله ﷺ، إنها قوة الإيمان والثقة بنصر الله ودفاعه عن عباده المؤمنين.

وبذلك نعلم أن الصراع قائم منذ القدم "بين أتباع الدين الحق وبين الأعداء الذين يقاومون دعوة الأنبياء، ويحرصون على حفظ مصالحهم الدنيوية وزعاماتهم ومناصبهم، ولا يسمحون للمستضعفين أن تكون لهم عزة وكرامة، وقوة ومنعة، لذا تنشأ الحروب بين الفريقين، ويصبح الجهاد وردّ العدوان أمرا واجبا وفريضة لازمة، ويكون تقديم الشهداء وبذل التضحيات في الأمة عملا مفروضا"[٢].

ومن حسن إدارة الصراع: فهم الواقع؛ لأن دراسة الواقع وتداعياته " تمثل جزء كبيرا من فهم المخرجين والمبعدين لمراحل جهادهم ونضالهم، وحسن إدارة الصراع مع أعداء الدعوة والدين، وهذه الطريقة من أفضل الطرق؛ لتحقيق لأهداف والغايات[٣].

ومن خلال ما تقدم نخلص: إلى أن أي شعب يهجَّر ويخرج من داره لا شك أنه سيعاني من آثار هذا الهجرة وويلاته، فينعكس ذلك سلبا على شتى جوانب حياته الصحية منها، والعلمية والنفسية، والاقتصادية والعسكرية وغيرها، وحينها يحدث صراع بين أصحاب القضية الحقة وبين أهل الضلال، ومن هنا يتحتم على أصحاب الحق حسن إدارة الصراع مع هذه الفئة الظالمة الباغية؛ حتى يتحقق لهم بغيتهم من النصر والتمكين، وهذا ما حدث مع الأنبياء والرسل – عليهم السلام – وأقوامهم.

---

(١) سورة البقرة الآية: (١٩٠).

(٢) التفسير الوسيط للزحيلي – (١/ ٢٦٠) – مرجع سابق.

(٣) ينظر: الإخراج من الديار دراسة موضوعية – (صد ٢٠١) – مرجع سابق.

المطلب الخامس: بناء جيل صالح لا يقبل المساومة.

لقد وضح القرآن الكريم آليات للتعامل مع قضية الهجرة والإخراج من الديار، ولهذه القضية ثمار نافعة والتي من أهمها بناء جيل صالح لا يقبل المساومة على دينه، وهذا الجيل هو الذي يحمل راية الدعوة إلى الجيل الذي بعده، وقد ربى الأنبياء والرسل عليهم السلام هذا الجيل تربية نافعة لنفسها ولغيرها، فكان بحق نعم العون على رفع راية الإسلام، والناظر في القرآن الكريم يرى ذلك بوضوح تام، حيث ارتبطت آيات الإخراج من الديار بمفهوم الصمود تجاه الأزمات والمساومات قال تعالى: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾(٢).

ليس هذا فحسب بل ظلت آيات القرآن ترسم صورة حية "للجيل المؤهل لاستعادة الأرض والديار، وقد تربى هذا الجيل بصور متعددة ذكرها القرآن منها ما هو مباشر كالإنفاق في سبيل الله بالمال والنفس، والإيثار والتضحية، والصبر والتراحم، ومنها ما هو غير مباشر بتذكيرهم بقصص الأمم السابقة، أو بيان أخلاق المنافقين، وانكشافهم وانهزامهم عن رسول الله ﷺ، مما حدا بالمسلمين إلى التمسك

(١) سورة التوبة الآية: (١٣).

(٢) سورة الممتحنة الآية: (١).

بالعروة الوثقى، والثبات على هذه العقيدة، فمنهم من أشـــهده الله إحدى الحســـنيين بالنصر، ومنهم من أدرك الثانية، وهي الشهادة في سبيل الله"[١].

قـال تعـالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾[٢]

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾[٣].

فكان هذا الجيل من الذين حملوا الإسـلام، وهاجروا به ونصـروه، نعم القدوة، لا لأنهم أكثر علما- مع أهميته وضـرورته- أو خلفوا لنا الكتب، بل لأنهم تربوا على القرآن وسيرة رسول الله ﷺ فأحيا ذلك نفوسهم، وأنار قلوبهم، وملأ كيانهم[٤].

وبذلك كان هذا الجيل الذي بناه الأنبياء- عليهم السـلام- بمثابة نصـرة إيمانية لدعوتهم، فقد قام نبي الله نوح عليه السلام ببناء جيل صـالح لا يقبل المسـاومة، فالناظر في دعوته؛ يرى انقسـام الناس أمام دعوته إلى قسم من القوم أعرضوا عن دعوته، وهم الكثرة الهالكة، وقسـم أمنوا به، وهم الذين رباهم عليه السلام بناء لا يقبل المسـاومة على الدين؛ ولذلك اتبعوه ونصـروه، وهاجروا معه ﷺ كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾[٥].

---

(١) الإخراج من الديار دراسة موضوعية – (صـ ٢٠٣) – مرجع سابق.

(٢) سورة البقرة الآية: (٢٠٧).

(٣) سورة النساء الآية: (١٠٠).

(٤) ينظر: السيرة النبوية منهجية دراستها واستعراض أحداثها – عبد الرحمن على الحجى – دار ابن كثير – دمشق– الطبعة: الأولى – ١٤٢٠ هـ – (٣٥١).

(٥) سورة هود الآية: (٤٠).

وقال تعالى: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[1].

وهكذا نبي الله إبراهيم عليه السلام قام ببناء جيل صالح لا يقبل المساومة على دينه فأنزل الله في حقه قوله سبحانه وتعالى: ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[2].

حيث بينت هذه الآية الكريمة آثار التربية الصالحة لهذا الجيل المؤمن، الذي وقف في وجه الطغاة وقالها صريحة: ﴿كَفَرۡنَا بِكُمۡ﴾ أي: "أنكرنا ما كنتم عليه من الكفر بالله وجحدنا عبادتكم ما تعبدون من دون الله أن تكون حقاً، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً علي كفركم بالله وعبادتكم ما سواه، ولا صلح بيننا ولا هوادة، حتي تؤمنوا بالله وحده، يقول: حتي تصدقوا بالله وحده، فتوحدوه وتفردوه بالعبادة "[3].

﴿ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴾ "أي وها نحن أولاء قد أعلنّا الحرب عليكم، فلا هوادة بيننا وبينكم، وسيكون هذا دأبنا معكم، لا نترككم

---

(١) سورة هود الآية: (٤٨).

(٢) سورة الممتحنة الآية: (٤).

(٣) تفسير الطبري – (٥٦٦/٢٢) – مرجع سابق.

بحال حتى تتركوا ما أنتم عليه من الشـــرك، فتنقلب العداوة ولاية، والبغضـــاء محبة"[1].

ومن آثار التربية الصـالحة لهم الامتثال لنبي الله موسـى عليه السلام لما أمره ربه بأن يجعل بيوتهم قبلة لإقامة الصـلاة قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

ومما يدل أيضا على صلاح هذا الجيل الذي لا يقبل المساومة على دينه عدم مبالاة المؤمنين بموسى عليه السلام بتهديدات فرعون حيث قالوا: ﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾[3].

وهذا كلمة الله عيسى عليه السلام قام ببناء جيل صالح لم يتردد في نصرته ومظاهرته على عدوه ويتمثل ذلك في سرعة استجابتهم لندائه ومناصرته، قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴾[4].

---

(١) تفسير المراغي – أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)- (٢٨/ ٦٦) – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر –الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.

(٢) سورة يونس الآية: (٨٧).

(٣) سورة طه الآية: (٧٢).

(٤) سورة الصف الآية: (١٤).

والحواريون هم: "صفوة الأنبياء الذي خلصوا وأخلصوا في التصديق بهم وفي نصرتهم وقيل خواص الرسل [١].. "وطلب نبي الله عيسى عليه السلام منهم النصرة؛ ليحتمي بها من قومه ويظهر الدعوة، وهذه سنة الله في أنبيائه وأوليائه فأنصار الله في قول الله عز وجل ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾[٢] أي أنصار نبيه ودينه"[٣].

وهذا رسولنا صلى الله عليه وسلم كان سيدا وإماما في هذا المقام وفي كل مقام، فقد ربى جيلا صالحا نقل الإسلام ونشره في أنحاء الأرض، وهذا الجيل بذل الغالي والنفيس من أجل نصرة سيد المرسلين ونصرة دعوته صلى الله عليه وسلم فأنزل الله في حقه ﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٥]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[٦]، فقد دلت هذه الآيات المباركات على تربية الرسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الجيل الذي لا يقبل المساومة على دينه، والذي تفانى في نصرته

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير – (٨/ ٢٣٣) – مرجع سابق. تفسير القرطبي – (١٨/ ٨٩) – مرجع سابق.
(٢) سورة الصف جزء الآية: (١٤).
(٣) الجامع لأحكام القرآن – (٤/٦٣) – مرجع سابق.
(٤) سورة الأنفال الآية: (٦٢).
(٥) سورة الأنفال الآية: (٧٢).
(٦) سورة الأنفال الآية: (٧٤).



ﷺ، وقد شهدت آيات القرآن الكريم وأحاديث سنة النبي ﷺ على هذه التربية، والأمثلة أكثر من أن تحصى نذكر منها قول الله ﷻ ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبۡتَغُونَ فَضۡلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنًاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾(١)، فلقد حاز جيل الصحابة الذي رباه أشرف الخلق قصب السبق في كل شيء العلم والدين والإخلاص والزهد، والورع والنصرة لدين الله، والتضحية من أجله، وهذا كله بفضل تربية النبي ﷺ لهذ الجيل، ولقد أدرك ذلك الذين بايعوا رسول الله ﷺ من نقباء الأوس والخزرج بيعة العقبة الثانية قبل الهجرة: قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة "أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عبادة(٢) بن نضلة الأنصاري أخو بني سالم بن عوف: يا معشر الخزرج. هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم. قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتل أسلمتموه فمن الآن! فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة

---

(١) سورة الفتح الآية: (٢٩).

(٢) العباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان شهد العقبتين مع رسول الله ﷺ ممن خرج إلى رسول الله ﷺ بمكة وأقام بها إلى أن قدم المدينة فكان يقال له مهاجري أنصاري قتل يوم أحد شهيدا– الثقات المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) – طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية – دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ (٣/ ٢٨٨).

قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف. فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا؟ قال: «الجنة».. قالوا: ابسط يدك. فبسط يده فبايعوه"(١).

وقد كان لكل نبي من الأنبياء أتباع تربوا على حب الدين والتضحية من أجله، فكانوا بحق جيل لا يقبل المساومة كما أخبر بذلك المعصوم ﷺ في حديث الإمام مسلم – رحمه الله – عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون، وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)(٢).

فالحمد لله الذي "جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى يحيون بكتاب الله تعالى الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى فكم من قتيل لإبليس أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه فما أحسن أثرهم على الناس وما أقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون

---

(١) سيرة ابن هشام ت السقا (١/ ٤٤٦) مرجع سابق.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – كتاب الإيمان – باب كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان – (٦٩/١)– حديث رقم (٥٠).

بالمتشـــابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشـــبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتنة المضلين"[١].

من خلال ما ســبق يمكن القول: إن الله ﷻ يربي الأنبياء عليهم الســـلام وأتباعهم بالمحن والشـــدائد؛ ليجتهدوا أولاً على أنفســـهم لتحقيق الإيمان بالعبادة والتزكية والنظر والتفكر، ومن ثم تهيئة لهم لينصـــروا دينه ورســـالته، والتضـــحية بكل ما يملكون من نفس ومال وولد من أجل هذه الغاية العظيمة، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٢]



(١) إعلام الموقعين – (١/ ٩) – مرجع سابق.

(٢) سورة التوبة الآية: (١١١)

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على الرسول الكريم ﷺ، أما بعد: فمن خلال هذا البحث المتعلق بـ" **هجرة الأنبياء دراسة في ضوء القرآن الكريم**، نجمل نتائج هذه الدراسة، وذلك على النحو التالي:

١- إن الصراع بين الحق الباطل حتميى، وقد بدأ منذ خُلق سيدنا آدم عليه السلام حيث ناصبه الشيطان العداء، وبدأ الصراع يأخذ طريقه بين آدم وذريته المؤمنة من جهة وبين الشيطان وأتباعه من جهة أخري، وامتد هذا الصراع عبر الأجيال كلها، وتأكد هذا الصراع مع جميع الأنبياء والرسل وأقوامهم، حيث الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تؤصل هذا الصراع والتحدي، وتؤكد حتميته، ولا سيما الرسالة الخاتمة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقومه.

٢- إن أعداء الإسلام سفهاء مقلدين لدين آبائهم، وكارهين لكل من يخالف دينهم وعقيدتهم، ويناصبونه العداء له؛ فيترتب على ذلك التصادم والنفور بين الأهواء النفسية والمنهج الرباني ومن ثم يحدث الهجرة، والخروج من الديار كما حدث في قصص الأنبياء والرسل – عليهم السلام–.

٣- التقدير الإلهي لهجرة الأنبياء يرجع إلى سنن الله في أرضه ومع أنبيائه التي تؤكد عظمته وعز سلطانه عز وجل.

٤- كان الهدف من سياسة الهجرة التي انتهجها أعداء الإسلام مع الأنبياء عليهم السلام هو القضاء على دعوتهم التي بعثوا بها واسكات صوت الحق التي نادوا إليه.

٥- تعرض الأنبياء والرسل – عليهم السلام – إلى التمحيص الرباني فلاقوا في سبيل الدعوة أشد أنواع العذاب وأقساها، فكانت حياتهم جهادا طويلا وشاقا مع الباطل وأهله.

٦- لقد ضرب لنا الأنبياء عليهم السلام أروع الصور للصبر والاحتساب في سبيل الله، حيث صبروا على أقسى أنواع التعذيب من أعدائهم وهو الصبر على معاناة الإخراج من الديار، ومفارقة الأهل والخلان.

٧- التمحيص الرباني والإبقاء على الفئة والصفوة المؤمنة من أعظم الغايات التي حققها هجرة أنبياء الله وأوليائه الصالحين في بدء الدعوة؛ حيث يترتب عليه سنة التمكين في الأرض والتي يترتب عليها النصر.

٨- إن الإخراج من الديار قد يكون استجابة لأمر الله لأن فيه حكمة إلهية عظيمة وهو النجاة بالمؤمنين من الفتن ومنها القتل وهلاك الصفوة من عباد الله المؤمنين.

٩- كان خروج سيدنا موسى وهارون – عليهما السلام – لخلاص بني إسرائيل من ظلم الطاغية فرعون استجابة لأمر الله..

١٠- إن تنقية الصف المسلم من الدخلاء يعدُ هدفا أساسيا في دعوات جميع الأنبياء والرسل – عليهم السلام وهي خطوة عظيمة في سبيل النصر والتمكين لدين الله..

١١- عرفت الهجرة في تاريخ الأمم السابقة فقد هاجر العديد من الأنبياء والمرسلين حين لزم الأمر ذلك.

١٢- إن الباطل لا ولن يتوقف عن ملاحقة الحق، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ومن ثم يجعل الله العاقبة لعباده المؤمنين، ويحقق لهم بلطفة النصر والتمكين.



أهم المصادر والمراجع

اولاً: **القرآن الكريم**.

ثانياً: **أهم المصادر والمراجع**.

١. أبجديات البحث في العلوم الشرعية– د. فريد الأنصاري– منشورات الفرقان– الطبعة الأولي الدار البيضاء– ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م.

٢. الإخراج من الديار في ضوء القرآن الكريم – دراسة موضوعية – عماد يعقوب حمتو– الجامعة الإسلامية غزة – رسالة ماجستير – ٢٠٠٤، ١٤٢٥هـ

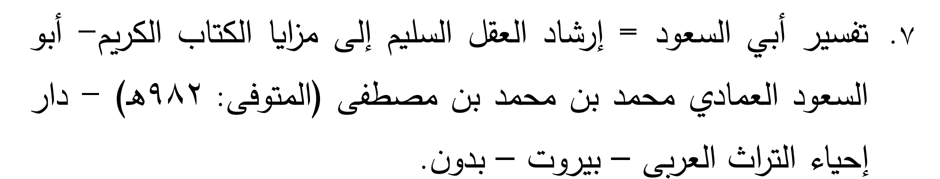
٣. الأساس في السنة وفقهها – السيرة النبوية – سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ) – دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة – الطبعة: الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.

٤. بحر العلوم – أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي – تحقيق: د. محمود مطرجي – دار الفكر – بيروت بدون.

٥. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد – أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ) – تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان – الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة – الطبعة: ١٤١٩ هـ

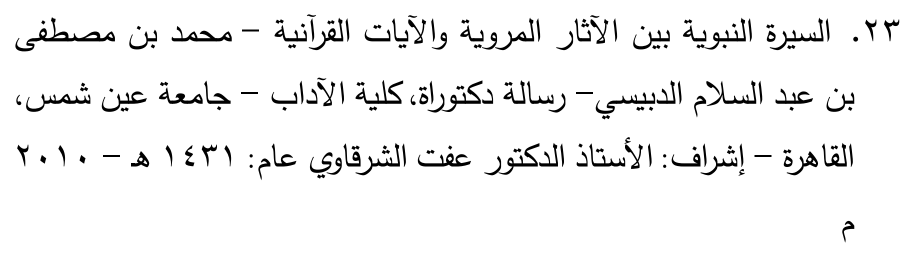
٦. التحرير والتنوير تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد–: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) – الدار التونسية للنشر – تونس – هـ بدون.

–

٧. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم– أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) – دار إحياء التراث العربي – بيروت – بدون.
٨. تفسير الشعراوي – الخواطر – محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)– مطابع أخبار اليوم بدون. –
٩. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) – محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) – الهيئة المصرية العامة للكتاب – سنة النشر: ١٩٩٠ م.
١٠. تفسير المراغي – أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر – الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.
١١. تفسير المراغي – أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر –الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.
١٢. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج – د وهبة بن مصطفى الزحيلي – دار الفكر المعاصر – دمشق–الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ.
١٣. التفسير الموضوعي لسورة المنافقون – أحمد بن محمد الشرقاوي – جامعة القصيم – ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧ م
١٤. التفسير الواضح – الحجازي، محمد محمود – دار الجيل الجديد – بيروت – الطبعة: العاشرة – ١٤١٣ هـ.

١٥.التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم – محمد السيد محمد يوسف– دار السلام للطباعة والنشر – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.
١٦.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) – تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق – مؤسسة الرسالة – الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.
١٧.جامع العلوم والحكم – زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥ هـ) – دار المعرفة – بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ،.
١٨.حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع– القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي (المتوفى: ٥٩٠ هـ) – دار الكتاب النفيس – بيروت – الطبعة الأولى، ١٤٠٧.
١٩.روح البيان – إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) – دار الفكر – بيروت – بدون.
٢٠.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
٢١.سنة الابتلاء في القرآن – رجب نصر موسى الأنس رسالة ماجستير – جامعة النجاح الوطنية – نوقشت هذه الرسالة ٢٠٠٧/١٠/٢٢م.
٢٢.سير أعلام النبلاء – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) – دار الحديث– القاهرة – الطبعة: ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.



٢٣. السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية – محمد بن مصطفى بن عبد السلام الدبيسي– رسالة دكتوراة، كلية الآداب – جامعة عين شمس، القاهرة – إشراف: الأستاذ الدكتور عفت الشرقاوي عام: ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م

٢٤.السيرة النبوية لابن هشام – عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) – تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر – الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م.

٢٥.الشفا بتعريف حقوق المصطفى – عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ) – دار الفيحاء – عمان – الطبعة: الثانية – ١٤٠٧ هـ.

٢٦.صفات المنافقين – محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)– الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات – ١٤١٠ هـ.

٢٧.صيد الخاطر– جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) –عناية: حسن المساحي سويدان – دار القلم – دمشق – الطبعة: الأولى– ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

٢٨.فتح الباري شرح صحيح البخاري . أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي . رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي . قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب – دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩.



٢٩. الفوائد – محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت –الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م.

٣٠. المحيط في اللغة – إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (المتوفى: ٣٨٥ هـ) – عالم الكتب – بيروت / لبنان – ١٤١٤ هـ –١٩٩٤ م – الطبعة: الأولى – تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين.

٣١. المرشد في كتابة الأبحاث– حلمي محمد فوده وعبد الرحمن صالح عبد الله جدة: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة– الطبعة السادسة– ١٤١٠، ١٤١١هـ– ١٩٩١م

٣٢. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي – محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) – تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش–دار طيبة للنشر والتوزيع –الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٣٣. معجم اللغة العربية المعاصرة –د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل

٣٤. معجم مقاييس اللغة – أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)

٣٥. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير – أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ.

٣٦.المقتطف من عيون التفاسير – مصطفى الخيري المنصوري – تحقيق محمد علي الصابوني – دار السلام – القاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

٣٧.الْمُهَذَّبُ النَّقِيّ الْجَامِعُ لِتَفْسِيرِ ابْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيّ – (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠ هـ)– إعداد وتهذيب وتعليق: عبد الرحمن القماش – (من علماء الأزهر الشريف) الناشر: عالم الكتب –الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.



فهرس الموضوعات